الدكتور/ عبد الحي الفرماوي
أستاذ التفسير وعلم القرآن
بجامعة الأزهر

تاريخ ومذابح المسلمين في البوسنة والهرسك
الصربيون .. خنازير أوربا
يحاولون إبادة الوجود الإسلامي في البلقان

دار الاعتصام

بسم الله الرحمن الرحيم

دار الاعتصام
٨ شارع حسين حجازي ــ ت ٣٥٥١٧٤٨ ص ب ٤٧٠ القاهرة
الرمز البريدي ١١٥١١ فاكسيميلي ٣٥٤٦٠٣١
للطبع والنشر والتوزيع

تمهيد

لقد عزَّ على الصليبية الدولية أن يتكون أكبر تجمع إسلامي وسط أوربا .. فإن هناك أكثر من ستة ملايين مسلم في يوغسلافيا يقيمون شعائر الإسلام، ويؤدون فرائضه، ويعمَّرون مساجدهم، ويغشون مجالس العلم في المدارس والمعاهد والجامعات، ويرفعون شعار "لا إله إلا الله محمد رسول الله" .. وكان تمركزهم في البوسنة والهرسك وعاصمتها "سيراييفو" .. ولقد ظل نظام الحكم الشيوعي في يوغسلافيا يخفي هذا الرقم، ويحيطه بالغموض، ويعلن أن عدد المسلمين في يوغسلافيا هذا التعتيم معظم دوائر المعارف والموسوعات الأوربية، وكذلك بعض الموسوعات العربية.

وليست أوربا الصليبية وحدها هي التي تناوئ هذا التجمع الإسلامي الكبير وتريد أن تجتثه وتستأصل جذوره .. ولكن شاركها بنصيب الكبير وتريد أن تجتثه وتستأصل جذوره .. ولكن شاركها بنصيب في ذلك — عن عمد بعض الزعماء من بني جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، ويدّعون الإسلام ظاهراً وباطناً وهم أبعد ما يكونون عن أهدافه ومقاصده، فلم يكن ولاؤهم في يوم من الأيام لهذا الإسلام ولا لأهله .. ولكن كان الولاء كل الولاء لإحدى القوتين العظميين يوم أن كانت كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي يقتسمان العالم، وينهبان كنوزه وثرواته.

وهذا نموذج من نماذج الزعامات الإسلامية التي أدَّعت الإسلام دون أن تعرف حقيقته وأصالته فرفعت شعاره دون أن تطبق أحكامه، واستخدمته لصالح أنظمتها وحفاظاً على عروشها دون أن تعبأ بأتباعه وأنصاره وعلمائه، واستبدلت قوانينه بقوانين فرنسا وبلجيكا، واعتقلت الأبرياء، وسجنت الشرفاء، وسنَّت للإسلاميين القوانين الاستثنائية، وأنشأت للمدنيين المحاكم العسكرية .. كل ذلك باسم الإسلام، وفتاوى علماء الفتنة الذين تدربوا على تطويع الأحكام الشرعية، والقوانين الإسلامية مع حتى تتفق مع هوى السلطة ورغبات الحكام. في الستينات كانت حركة عدم الانحياز إحدى الحركات التي تريد أن تُسْمعَ صوتها للعالم لإيجاد قوة جديدة تمثل العالم الثالث، وتقف أمام المعسكرين الغربي والشرقي: الولايات المتحدة الأمريكية ومعها كل الغرب .. أو دول "الكومنولث" ثم. الاتحاد السوفيتي ومعه كل دول الشرق أو دول "الكومينفورم" وكان على رأس دول عدم الانحياز أربع دول تتزعم الحركة هي: الهند بزعامة "جواهرلال نهرو" وإندونيسيا بزعامة "أحمد سوكارنو" ويوغسلافيا بزعامة "جوزيف بروزتيتو"، ومصر بزعامة "جمال عبد الناصر" .. وليس هذا مجال الحديث عن دور عدم الانحياز حين نتحدث في هذا الكتاب عن قضية أو مأساة المسلمين في البوسنة والهرسك .. ولكن لأن البوسنة والهرسك هي إحدى جمهوريات يوغسلافيا السابقة، وهي التي تحتل أخبارها الآن حيزاً كبيراً جداً من مساحات الصحف ووكالات الأنباء العالمية والمحلية، وتشغل أذهان الكثيرين من أرباب الفكر والرأي، وتطغى على كل البرامج الإذاعية والتليفزيونية في القارات الست.

إن الذي يحفزنا هنا بالدرجة الأولى ونحن نتعرض في هذا التمهيد لحركة عدم الانحياز هو الدور الخياني الذي لعبه الزعماء الأربعة من خلال حركتهم ضد الشعوب المضطهدة في العالم الثالث بالإضـــافة إلى شعوبهم .. فإن نهرو كان يقف بالمرصاد لكل اقتراح أو مشروع يمكن أن يعود بالخير على الشـــعوب المقهورة لاسيما في المناطق الإسلامية إذا تعارض ذلك مع مصالح الهند مما دفع بطائفة الهندوس مـــن عُبَّاد البقر. أو عُبَّاد الأنهار المقدسة التي يرعها نهرو إلى أن تعمل تشريداً واضطهاداً وتصفية جسدية في طوائف المسلمين علانية وفي وضح النهار .. وليس ما يحدث في كشمير إلا نموذجـــاً واحـــداً لهـــذه الممارسات الإجرامية لآل نهرو .. يحدث هذا في الهند دون أن يحرك الزعماء الثلاثة الآخرون ســـاكناً ترضية للزعيم الهندوسي الكبير تلميذ "غاندي" ووالد "إنديرا" التي خلفته في رئاسة حزب المؤتمر والتي كان أ، مشروع لها بعد تقلدها رئاسة الوزراء هو "تعقيم رجال المسلمين" حتى تقضي على النســـل المسلم في القارة الهندية التي يربو عدد المسلمين فيها على المائتي مليون.

ثم يأتي دور سوكارنو الذي كان يتزعم أكثر من مائه وعشرين مليون مسلم إندونسي يعيشون وسط مخطط رهيب يشرع عليه "أحمد سوكارنو" لتحويل إندونيسيا إلى دولة ماركســـية بعـــد أن مكّـــن للحزب الشيوعي أن تنتعش مبادئه، وأن ينتشر إلحاده، وأن يرفع في ربوع الـــبلاد شـــعار "المنجـــل والمطرقة" في إندونيسيا المسلمة .. وهكذا سار من بعده خلفه "ســـوهارتو" الـــذي أراد أن يحـــول إندونيسيا إلى دولة صليبية خلال خمسين عاماً بعد أن زرعها بالكنائس، وبعد أن ســـخَّر مطابعهـــا لإصدار عشرات الملايين من الإنجيل المحّرف إرضاءً للغرب الصليبي !!.

أما دور تيتو فحدّث عنه ولا حرج .. فهو الرجل الذي لم يعبأ بمشاعر المسلمين في يوغسلافيا الذين يشكلون ثلث السكان، فأغلق معظم مساجدهم، وقلَّص مدارسهم ومعاهدهم وجامعاتهم، وضـــيّق عليهم في الوظائف العامة، وأبعدهم عن مراكز الثقل في المناصب الهامة، ومكَّن للصرب ـــ مع أنـــه كرواتي الأصل ـــ من اضطهادهم، وعقد لهم المحاكمات الظالمة بتلفيق التهم، واختلاق الأحداث.

ورابع هذه العصابة في قمة عدم الانحياز هو "جمال عبد الناصر" الرجل الذي ناصب الحركة الإسلامية العداء، وتنكر لها بعد أن مكنت له في أن يجلس على سدة الحكم ثمانية عشر عاماً يملك فيها ويحكم، ويعربد فيها ويفسد، ففتح السجون والمعتقلات للوطنيين الأحرار، ونصب المشانق للبرآء، وشتَّت أبناء الأسرة الواحدة فهو يوقع بين الأخ وأخيه، والابن وأبيه، ويفّرق بين المرء وزوجه .. وعلى أنقـــاض الجماجم بنى ملكة، وشيَّد عرشه، وغادر الدنيا بعد سلسلة من الهزائم بدأت بفشل الوحدة مع سوريا في محاولة منه للسيطرة على إمبراطورية كبرى ومُلك واسع عريض سمَّاه "الإقليم الجنوبي" و"الإقلـــيم الشمالي" ولكن الله عز وج لكان له بالمرصاد فجاءت عملية الانفصال التي كادت تودي به وبقائـــد جيشه عبد الحكيم عامر[1]، ومروراً بحرب اليمن التي أتت على معظم الأرصدة المصرية، واســـتنفدت كل مخزون السلاح، وفقدت مصر فيها أكثر من خمسين ألف جندي وضابط في عمر الزهور ..

وانتهت بأم الهزائم أمام إسرائيل في مأساة ٦٧ التي أفقدنا فيها كل سيناء، وتسبب في ضـياع غـزة والضفة الغربية.

وجمال عبد الناصر هو الذي يعنينا في هذا المقام كواحد من الذين كان لهم دور بـارز في مشـكلة المسلمين في يوغسلافيا .. ففي رحلة من رحلات عبد الناصر لحضور أحد المؤتمرات عدم الانحياز في بلجراد أعدَّ المسلمون في يوغسلافيا مذكرة لعرضها على الرئيس جمال عبد الناصر بصفته زعيم مصر الإسلامية .. بلد الأزهر الشريف، وموطن الأئمة الأعلام من العلماء والمحدِّثين والفقهاء، ومقر مجمـع البحوث الإسلامية، ومجمع اللغة العربية، والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية .. هذه المـذكرة كـان الغرض منها أن يتدخل جمال عبد الناصر لدى صديقة تيتو حتى يخفف من وطأة النظام الشيوعي على المسلمين في يوغسلافيا لاسيما في البوسنة والهرسك وعاصمتها سيراييفوا حيث يشكل المسلمون فيها أغلبية ساحقة بالنسبة إلى بقية البلدان الأخرى الذي يتشكل منها الاتحاد اليوغسلافي .. لقد اشتملت المذكرة على المعاناة التي يلاقيها المواطنون المسلمون على يد الشيوعيين اليوغسلاف، وعلى حرمـانهم من معظم الحقوق المشروعة التي يتمتع بها المواطن العادي، وعلى القوانين الجائرة التي كان يصـدرها تيتو والتي كانت تستهدف المسلمين وحدهم دون بقية الطوائف الأخرى في مجالات التعليم والثقافة، والحقوق السياسية، والتمثيل النيابي، وفي التضييق عليهم عند ممارستهم لشعائر الدينيـة، وفي إهمـال مساجدهم .. فلا بناء لجديد، ولا ترميم لقديم مما جعل معظم المساجد آيلة للسقوط .. وما إن تسلم عبد الناصر المذكرة العادلة من أحد زعماء المسلمين على رأس وفد من علمـاء سـيراييفو عاصـمة البوسنة والهرسك حتى امتعض وجهه، وتقطب جبينه وقال بالحرف لرئيس الوفـد: "إن مصـر لـن تسمح بأن تقحم نفسها الشئون الداخلية للدول الصديقة، وأرجو أن لا يتكرر ذلك مرة أخـرى!!" ثم انتهى المقابلة .. وزيادة في مضايقة وفد المسلمين الذي جاء بالمذكرة، ومجاملة لتيتو ألغـى عبـد الناصر المنح التعليمية والأزهرية للطلبة المسلمين في البوسنة والهرسك لهذا العام.

إن جمال عبد الناصر الذي رفض مذكرة علماء المسلمين في يوغسلافيا هو نفس جمال عبد الناصـر الذي استجاب لمطلب نيكيتا خرشوف في زيارته للقاهرة لحضور حفل غمر أنفـاق السـد العـالي بالمياه .. فحين هبط خروشوف إلى مطار القاهرة كان جمال عبد الناصر في اسـتقباله .. وبعـد أ، صافح كل منهما الآخر وضع خروشوف يده في جبينه الأيمن وأخرج كشـفاً بأسمـاء الشـيوعيين المصريين في السجون والمعتقلات وقال في دعابة خبيثة: "لن أحضر احتفال غمر الأنفاق بالمياه قبل أن يُفْرج عن الشيوعيين المصريين في سجون مصر ومعتقلاتها!!" .. وقبل أن يغادر الرئيسان مطار القاهرة كانت التعليمات قد صدرت إلى مدير مصلحة السجون وأجهزة الأمن الأخرى بالإفراج عن الرفاق المحظوظين الواردة أسماؤهم في كشف خروشوف رغم أ، بعضهم كان مداناً بجريمة الخيانة العظمى .. ومع ذلك فلم يعتبر عبد الناصر ما حدث من خروشوف تدخلاً سـافراً عريانـاً في شـئون مصـر

الداخلية!! ولا تسل عن المذكرة التي كانت طبق الأصل من مذكرة عبد الناصر والتي قدمت لأحمد سوكارنو .. فقد كان مصيرها مصير مذكرة عبد الناصر .. ولله في خلقه شئون!!.

نذكر هذه القصة حتى يعلم من لم يكن يعلم أن المؤامرة ضد الشعب المسلم في البوسنة والهرسك مؤامرة قديمة لها جذورها التاريخية .. فلم يقتصر الجرم فيها على دول أوربا الصليبية فقط .. وإنما شاركهم فيها زعامات تظاهرت بالإسلام، وتَسَّمت بأسماء المسلمين وهي تبطن غير ما تظهر .. والسجل مليء بأمثال هؤلاء وأولئك .. ولكن الله تعالى الذي يمهل ولا يهمل كان لهم بالمرصاد فكشف سترهم أمام الملأ، وفضح أمرهم أمام شعوبهم، وما كانت شعاراتهم الإسلامية التي يرفعونها إلا خيالاً لعوباً وسراباً كذوباً!! فهل يعيد التاريخ نفسه بعد أن رأينا بأبصارنا، وسمعنا بآذاننا كيف يذبح شعب مسلم، وكيف تغتصب نساؤه، وكيف تهدم بيوته ومتاجرة، وكيف تُدَك بالصواريخ مساجده ومدارسه، وكيف تحرق مزارعة ومصانعه، وكيف تبقر بطون الحبالى .. فإذا خرج الجنين حياً أطلق عليه الرصاص أمام أعين والديه .. وكيف ألقيت الجثث في الشوارع تنهشها الكلاب المسعورة حتى انتشرت الأوبئة والأمراض .. كل ذلك والعالم يتفرج على المأساة!!.

أين منظمة الدول الإسلامية التي يربو عدد سكان أبنائها على الألف مليون مسلم، والتي مازالت تعيش على الأوهام والأحلام انتظاراً لاتجاه الريح الذي تحركه الولايات المتحدة ومعها الغرب الصليبي والشرق الحاقد .. ويبدو أن مأساة البوسنة والهرسك ما زالت في ذاكرة الدكتور "حامد الغابد" الأمين العام لمنظمة الدول الإسلامية .. فها هو الرجل يصرخ أخيراً بأن الأمانة العامة للمنظمة تواصل اتصالاتها لإعداد العدة لعقد قمة إسلامية في أقرب فرصة لمناقشة قضية البوسنة والهرسك .. ناسياً أن مؤتمراً مماثلاً على مستوى وزراء الخارجية قد عقد في استنبول من أجل هذه القضية ولكن المؤتمر قد انفض كما اجتمع دون أ، يتخذ من القرارات ما ينقذ مسلماً واحداً من ضحايا المذبحة الصليبية .. هل يعلم الرجل الذي يجلس على عرض أكبر منظمة إسلامية في العالم أن المدينة المسلمة الواحدة في البوسنة لا تستغرق الأيام العشرة حتى تسقط في أيدي الصرب الذين كانوا الوريث الوحيد لدولة يوغسلافيا فاستولوا على الطيران والبحرية وكل أسلحة الجيش ومستودعات الذخيرة والدول الإسلامية مازالت تفكر في عقد قمة إسلامية لمناقشة مشكلة البوسنة والهرسك عندما يكون آخر مسلم في البوسنة والهرسك إما مرتداً تحت تأثير الضغط النفسي أو التعذيب الجسدي .. وإما أسيراً .. وإما جريحاً أو قتيلاً لا يوارى التراب .. ثم تأتي بعد ذلك قرارات المؤتمر كما عودتنا من قبل هزيلة لا تأخذ القضية مأخذ الجد وليس لها من المقاومات ما يجعلها فاعلة قوية التأثير؟!!.

أين جامعة الدول العربية بدولها العشرين التي يضيع وقتها ويذهب جهدها في خلافات جانبية حول الحدود المصطنعة بين الأشقاء العرب؟!!.

أين الأمم المتحدة وعلى رأسها: "بطرس غالي" الذي لعب دوراً خطيراً في انتكاس الشعب البوسني المسلم بحجة ضعف الميزانية في المنظمة الدولية .. لقد كانت آخر تصريحات (الحاقد القديم) بطرس غالي عندما وجه تقريعاً لاذعاً لمجلس الأمن لأنه ــ على حد تعبيره ــ انشغل بالبوسنة والهرسك عن الصومال .. فلا هو أنقذ الصومال من المجاعة والحروب الجانبية .. ولا هو تصدى بقوات الأمم المتحدة لممارسات الصربيين الذين أتوا على الحرث والنسل لتصفية الجنس المسلم في البوسنة والهرسك بطريقة وصلت إلى حد التعذيب حتى الموت .. وكانت أبسط إجراءات التعذيب هي تكسير عظام الذراع ببطء .. يعني تكسيرها عظمة عظمة .. ثم تأتي بعد ذلك مرحلة إطلاق النار على الضحايا داخل معسكرات الموت وسط حق دفين لم تعرفه الحروب الصليبية في قسوتها وفظاعتها عبَّر عنه القائد الصربي المعروف (فوتشنيك) بقوله: "إن هدفنا الوحيد بصراحة هو القضاء على أمة المسلمين في البوسنة والهرسك، وإذا أراد المسلمون البقاء على قيد الحياة فعليهم إعلان الانتهاء إلى القومية الصربية أو الكرواتية" وكأن القائد الصربي المتهور يرد على الكاتب (تحت التمرين) أو الصحفي المصري (الناشئ) الذي كتب بصحيفة مصرية يقول: "من المغالطات أن نصف الاشتباكات الجارية في البوسنة والهرسك بأنها حرب صليبية .. إنها حرب بين فئات متصارعة تسعى كل منها إلى الحكم"!!.

وبعد ..

فإن وصف المجرمين الصرب الخنازير كما يشير عنوان هذا الكتاب لسنا نحن الذين نعتناهم به .. ولكن هذا الوصف كان مصدره بعض عقلاء أوربا الذين خبروا هؤلاء المرتزقة من مصاصي الدماء وتجار الحروب للجرائم البشعة التي ارتكبوها في حق الشعوب الضعيفة باسم القوميات والنعرات العرقية، وللفظاظة والغلظة التي استموا بها، والعدوانية المتأصلة في نفوسهم حتى من قبل تفكك الاتحاد اليوغسلافي .. من أمثال (سينشافوتشنيك) و (توفيسلاف مادي) و (دوبرسلاف باراجا) وهم وأمثالهم يشكلون خليطاً من المغامرين والأفاقين الذين كانوا يعملون تحت عباءة تيتو عندما كان يغض الطرف عن الممارسات الإجرامية ضد المسلمين في يوغسلافيا .. ومع ذلك فإن الخنزير كحيوان أعجم لا يعقل رغم نجاسته وحرمته فإنه أكر على الإنسانية من الخنازير الآدمية الصربية!!.

حسن عاشور

* * *

---

(١) بعد هزيمة ٦٧ انقض جمال عبد الناصر على رفيق عمره عبد الحكيم عامر فلفق له تهمة الخيانة ثم مات الأخير مسموماً في ظروف غامضة .. وهكذا فعل الرجل بمعظم الرفاق مع تفاوت النهايات.

افتتاحية

إذا كان من جهد لي أشارك به إخواني المسلمين في "جمهورية البوسنة والهرسك، خــلال مسلســل المذابح الدائرية فيهم: فهو "الكلمة" ..!!

وهو ــ بكل أسف ــ جهد العاجز ..!!

ولكن .. قد تكون الكلمة: سلاحاً.

وإذا كان من فضل علّي في هذا الكتاب:

فهو لله تعالى أولاً، وقبل كل شيء، وبعد كل شيء.

ثم لزوجتي: التي تحرك قلبها، وتفجرت مشاعرها من مع مأساة أخواتها المســلمات، في "جمهوريــة البوسنة والهرسك" فطلبت مني أن أساهم بقلمي في مثل هذا العمل، قبل أن يخطر ببالي القيام بــه، ثم وقفت بجواري فيه، وسهرت بجانبي عليه، وتحملت عني الكثير ــ من أجله ــ خلال فترة إعــداده، جزاها الله عن ذلك وعنّي خير الجزاء.

ثم لأولادي: الذين التفوا حولي أثناء عملي فيه، يدعون لأطفال "البوسنة والهرسك" وقد رأوا صورهم في الصحف والمجلات والتلفاز.

كما كفوا ضجيجهم عني، وامتنعوا عن كثرة طلباتهم مني، إذْ كانوا شعرون أنني أحارب ــ بقلمــي ــ أعداء الإسلام في "البوسنة والهرسك" خلال عملي في هذا البحث، بارك الله فيهم، وجعلهم مــن أعلام الإسلام: العاملين به، الرافعين لواءه، المدافعين عنه.

ثم لأخي في الله، الحبيب، الداعية، المجاهد، الحاج حسن عاشور .. الذي: حفزني للكتابــة، وأثــر في بحماسة الشديد وعاطفته الإيمانية الجياشة من أجل هموم المسلمين، وانشغاله بأحوالهم .. والذي: يسر لي سبل البحث في هذا الموضوع، القليل المراجع، الشديد الأهمية، الذي يضرب بمطارق من حديــد على: غفلة المسلمين، وتفرقهم، وتخلفهم، وهوانهم على أنفسهم، وعلى الناس .. والذي: لولا إمداده لي بكل مفيد، ومتابعته لي ــ خلال البحث ــ بكل جديد، ووعد بالنشر فور الفراغ من الكتابة .. لما رأى هذا الكتاب النور .. تقبل الله منه جهده، وجزاه من الخير ما هو أهله، ونفعه ونفع به.

ولا يفوتني أن أشكر أخي "صفوت مصطفى خليلوفيتش" أحد تلاميذي النجباء الممتازين، خريجــي كلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف، وهو من أبناء "جمهورية البوسنة والهرسك" على مراجعتــه معي بعض مواد الكتاب التي تتعلق بشعب "البوسنة والهرسك" المسلم.

فأرجوا من الله تعالى: أن يتقبل الجهد فيه، والجهاد به.

كما أضرع إليه سبحانه: أن يرزقني الإخلاص القصد، وحسن العمل.

وأن ينفعني ــ ومن معي ــ به في يوم لا ينفع فيه **(مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلا مَنْ أَتَــى اللَّــهَ بِقَلْــبٍ سَلِيمٍ)** .

وأن يجعله فاتحة خير، وبشارة نصر للمسلمين في "جمهورية البوسنة والهرسك، وفي كل مكان، إنـــه سبحانه سميع قريب مجيب الدعوات.

عبد الحي حسين الفرماوي

القاهرة ــ عين شمس .. الخميس غرة محرم ١٤١٣هــ ــ ٢ من يوليو ١٩٩٢م.

مدخل البحث

قال تعالى (**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ**)[١].

وقد أكد الإسلام على هذه العالمين في مثل: قوله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام: (**قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ * إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ**)[٢]. وقوله تعالى له أيضاً: (**وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ * وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ**)[٣].

بل وضحها غاية الوضوح فيمثل قوله تعالى (**تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا**)[٤].

وقد صرح بها النبي ρ في مثل ما أخرجه الإمام البخاري في صحيحة عن جابر بن عبد الله عنه ρ أنه قال: (كان النبي يبعث في قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة)[٥].

وقد عمل بها ρ ومن أجلها: طيلة حياته الشريفة.

كما ربي ρ صحابته، وأتباعه، بل أمته كلها على الإيمان بها، والعمل من أجلها .. إحيــاءً للــبلاد، وإسعاداً للعباد.

وقد عمل صحابة النبي ρ، والكثير من أمته: على تحقيق النظام العالمي الإسلامي، وبسط لوائه، ونشر هديه في دنيا الناس أجمعين.

فنجحوا في ذلك إلى مدى بعيد .. كلما امتلكوا أدوات خيريتهم المسجلة لهم في قوله (**كُنتُمْ خَيْــرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ**)[٦].

وقد شهد بذلك أعداؤهم.

وهذا واحد منهم يسجل هذا النجاح في واحد من أطواره ومرحلة من مراحله، شاهد لهم به في قوله: "بينما كانت أوربا ترتع في غياب العصور الوسطى: كانت الحضارة الإسلامية في أوج ازدهارها، لقد أسهم الإسلام كثيراً في تقدم العلم والطب والفلسفة، لقد قال "ويل ديورانــت" في كتابــه "عصــر الإيمان": إن المسلمين قد ساهموا مساهمة فعالة في كل المجالات، وكان: "ابن سينا" من أكبر العلمــاء في الطب، و"الرازي" أعظم الأطباء "والبيروني" أعظم الجغرافيين"، "وابــن الهيــثم" أكــبر علمــاء البصريات، "وابن جبير" أشهر الكيمائيين، وكان العرب رواداً في التربيــة والتعلــيم، فقــد قــال "ديورانت" في هذا الشأن: عندما تقدم "روجربيكون" بنظريته في أوربا ــ بعد ٥٠٠ عام مــن ابــن جبير ــ قال: إنه مدين بعلمه إلى المغاربة في "أسبانيا" الذين أخذوا علمهم من المسلمين في الشــرق، وعندما ظهر النوابغ والعلماء في عصر النهضة الأوربي: "فإن نبوغهم وتقدمهم كان راجعاً إلى أنهــم وقفوا على أكتاف العمالقة من العالم الإسلامي".

ثم يقول: هذه الإنجازات: "تبين ما كان عليه العالم الإسلامي في الماضي، وكذلك: تبين ما يمكن أن يكون عليه في المستقبل"(٧).

هذا في الحضارة.

وفي التوسعات: امتد نفوذ الإسلام، ورفرفت راياته، وغم نوره أفاقاً بعيدة، خارج الجزيرة العربية.

فقد وصل إلى الهند والصين: شرقاً.

وامتد نوره إلى بلاد ما وراء النهرين، وشبه جزيرة البلقان، وعلى أبواب النمسا، وحدود فرنسا، شمالاً، وشمال أفريقيا وبلاد المغرب، والأندلس: غرباً.

ثم أنار جنبات القارة السوداء "أفريقيا" جنوباً.

لهذا ..!!

ولهذه العالمية ..!!

ولهذا الامتداد الجغرافي ..!!

ولما يمكن أن يكون عليه العالم الإسلامي في المستقبل إذا امتلك: مؤهلات خيريته، وأدوات نجاحه، أو خلى بينه وبين محاولاته لامتلاكها ..!!

ترتعد فرائص أعداء الإسلام: الذين **(يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ)**(٨).

والذين صاروا يقولون لبعضهم البعض "دمروا الإسلام، أبيدوا أهله" حتى أصبح شعاراً لهم، وهدفاً، يجتمعون حوله، ويعملون بدأب وحقد وبغضاء لتحقيق.

وينقل لنا صاحب كتاب "قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام، أبيدوا أهله" بعضاً من أقوالهم التي يتواصون بها، والتي تصور فزعهم من الإسلام، وتحثهم على مواجهته:

فهذا "أنطوني ناتنج" يقول: "منذ أن جمع محمد ـــ ρ ـــ أنصاره في مطلع القرن السابع الميلادي، وبدأ أولي خطوات الانتشار الإسلامي: فإن على العالم الغربي أن يحسب حساب الإسلام كقوة دائمة، وصلبه، تواجهنا".

وهذا "أشعيا بومان" يقول: إن شيئاً من الخوف يجب أن يسيطر على العالم الغربي من الإسلام،ولهذا الخوف أسباب: منها أن الإسلام منذ ظهر بمكة لم يضعف عددياً، بل إن أتباعه يزدادون باستمرار، كما أن هذا الدين، من أركانه الجهاد.

وها هو "سالازار" يصرح في مؤتمر صحفي قائلاً: إن الخطر الحقيقي على حضارتنا: هو الذي يمكن أن يحدثه المسلمون حين يغيّرون نظام العالم.

فلما سأله أحد الصحفيين قائلاً: لكن المسلمين مشغولون بخلافاتهم ونزاعاتهم ..!!

أجاب قائلاً: أخشى أن يخرج منهم من يوجه خلافاتهم إلينا.

وهذا احد المسئولين بوزارة الخارجية الفرنسية عام ١٩٥٢م يقول: ليست الشيوعية خطراً على أوربا فيما يبدو لي، إن الخطر الحقيقي الذي يهددنا تهديداً مباشراً وعنيفاً: هو الخطر الإسلامي.

وهذا "هانوتو" وزير خارجية فرنسا الأسبق، يقول: رغم انتصارنا على أمة الإسلام وقهرها، فإن الخطر لا يزال موجوداً، من انتفاض المقهورين، الذين أتعبتهم النكبات التي أنزلنا بهم، لأن همتهم لم تخمد بعد.

وهذا "غاردنر" يقول: إن الحروب الصليبية لم تكن لإنقاذ القدس، إنما كانت لتدمير الإسلام.

ولا يزال فزعهم من الإسلام قائماً .. !!

ولا يزال بعضهم يحذر جموعهم ..!!

ولا يزال قادتهم يستحثونهم على تدمير الإسلام وإبادة أهله ..!!

فهذا "ريتشارد نيكسون" الرئيس الأسبق للولايات المتحدة الأمريكية، يصرخ بلوعة في كتابه الجديد "الفرصة السانحة" قائلاً: إن العالم الإسلامي يشكل واحداً من أكبر التحديات لسياسة الولايات المتحدة الأمريكية الخارجية في القرن الحادي والعشرين(٩).

كما يصرخ في جموع أعداء الإسلام قائلاً لهم: "يحذر بعض المراقبين من أن الإسلام سوف يصبح قوة "جيوبوليتيكة" متطرفة، وأنه مع التزايد السكاني، والامكانات المادية المتاحة، سوف يشكل المسلمون مخاطر كبيرة، وسوف يضطر الغرب إلى أن يتحد مع "موسكو" ليواجه الخطر العدواني للعالم الإسلامي.

وبهذه التحذيرات ..!!

وبحروبهم، وأحقادهم، ومخططاتهم ..!!

وصلوا في تحقيق هدفهم "تدمير الإسلام وإبادة أهله" إلى حد كبير.

وساعد على ذلك: تفريط العالم الإسلامي في المحافظة على مؤهلات خيريته، والتهاون في استعادة امتلاك هذه المؤهلات.

حتى أصبح العالم الإسلامي في وضع يرثى له ..!!

وهذه إطلالة سريعة على بعض أحواله.

في عام ٨٩٧هـ ــ ٢ يناير ١٤٩٢م: رفع الكاردينال "ديبر" الصليب على الحمراء "القلعة الملكية للأسرة الناصرية".

فكان ذلك: إعلاناً بانتهاء حكم المسلمين على أسبانيا بعد ٨٠٠ عام(١٠).

وضاعت الأندلس ..!!

وفي عام ١٢٢٨هـ ــ ١٨١٣م: قامت الحروب بين روسيا والدولة العثمانية باسم الدين أيضاً.

وضاعت آذربيجان الإسلامية وما حولها(١١) ..!!

وفي الحرب العالمية الأولى: هزمت تركيا التي تحالفت مع ألمانيا والنمسا، وأخذت الدولة العثمانية تفقد أملاكها في أوربا تباعاً ..!!

فضاعت: اليونان، ورومانيا، وبلغاريا، ويوغسلافيا، وألبانيا، والمجر.

وفي الوقت نفسه، وقعت الجزائر، وتونس، ومصر، والمغرب، ولبيا، والعراق تحت حكم الاستعمار الغربي.

وتم كذل تقسيم الشام إلى: سوريا، ولبنان، وفلسطين، وشرق الأردن.

واحتلتها جميعاً قوات الحلفاء.

واحتلت بريطانيا: جنوب الجزيرة العربية.

واحتلت اليونان: أزمير من تركيا[١٢].

بل دخلت جيوش الأعداء: أسطانبول، عاصمة الخلافة الإسلامية[١٣].

كما انتهز أعداء الإسلام الفرصة لتحقيق هدفهم الذي فشلت في تحقيقه الحروب الصليبية التي استمرت قرنين من الزمان، ألا وهو القضاء على الإسلام أكثر وأكثر ..!!

فماذا فعلوا ..؟

في مفاوضات لوزان ١٣٤١هـ ــ ١٩٢٢م لعقد الصلح بين المتحاربين: اشترطت انجلترا على تركيا لكي تنسحب من أراضيها:

أ- إلغاء الخلافة الإسلامية.

ب- تعهد تركيا بإخماد كل حركة يقوم بها أنصار الخلافة.

ت- قطع كل صلة لتركيا بالإسلام.

ث- اختيار دستور مدني للبلاد بدلاً من دستورها المستمد من أحكام الإسلام[١٤].

وكان ..!!

وكانت البداية الصارخة لانهيار العالم الإسلام عصره الحالي.

ففي شعبان ١٣٤٢هـ ــ مارس ١٩٢٤م أصدرت الجمعية الوطنية بتركيا قراراً بإلغاء الخلافة[١٥] ..!!

وزادت النكبات ..!!

وعلى سبيل المثال:

في "أريتريا" المسلمة: استولت عليها "الحبشة" النصرانية عام ١٣٦٨هـ ــ ١٩٤٩م بتأييد من فرنسا وانجلترا .. وفعلت ــ وما تزال تفعل ــ بشعبها المسلم الأفاعيل[١٦] ..!!

في "الصومال" والسودان: يموت المسلمين جوعاً ..!!

في "بورما" نجد المسلمين لاجئين من الاضطهاد، يفرون إلى بنجلاديش[١٧].

في "الفلبين" يَلْقى المسلمون أسوأ معاملة، بل تقام المذابح الصامتة لهم بين الحين والحين[١٨].

في "كشمير" التي سيطر عليها الاستعمار الهندوسي عام ١٤٠٥هـ ـــ ١٩٨٥م: يلقـــى المســـلمون الأهوال التي تيشيب منها رؤوس الولْدان.

وفي الولايات المتحدة: هناك أقلية إسلامية، تلقى كل أنواع الاضطهاد[١٩] ..!!

وفي فرنسا: أقيم حزب سياسي، مهمته معادة العرب والمسلمين في فرنسا والمطالبة بطردهم، بعد إقامة دائمة عشرات السنين هناك[٢٠].

وفي "فلسطين": حدَّث ولا حرج، لما يحدث للمسلمين ـــ على مرأى ومسمع من العـــالم ـــ مـــن اضطهاد، وطرد من الأرض .. الخ[٢١].

وفي "جنوب لبنان" كذلك.

وفي "آذربيجان" الإسلامية: يحدث الآن مالا يوصف من المـــذابح للمســـلمين علـــى يـــد جـــيش "أرمينيا"[٢٢] ..!!

بل إن التربص بمسلمي "القوقاز" في آسيا الوسطى: يكشر عن أنيابه، ويهدد: بالويل والثبور، وعظائم الأمور[٢٣] ..!!

وليس هذا فقط: بل يتعرض نحو ١٠ ملايين مسلم للذبح والقتل والتشريد في ٣٧ دولـــة، حســـب إحصائيات المنظمات الدولية[٢٤].

وأخيراً ـــ ونرجو أن يكون آخر لهذه العينات من مسلسل الدماء الإسلامية ـــ محنـــة المســـلمين في "البوسنة والهرسك".

والمحنة التي يتعرض لها المسلمون في البوسنة والهرسك ـــ كما يقول الأستاذ إبراهيم نافع ـــ نمـــوذج صارخ لمحنة المسلمين في الدول الأخرى[٢٥].

لأن ما يجري جهاراً نهاراً ـــ تحت سمع وبصر العالم فيها ـــ ما هو إلا حملة شرسة بالحديد والنـــار، لطمس الوجود الإسلامي في "شبه جزيرة البلقان" كلها، أو هو ـــ والكلام لنافع ـــ على حد قـــول وزير خارجية "البوسنة" هاريس ريتش: "يشبه سلخانة لذبح البشر بدلاً من الماشية".

إذْ تشرد منهم حتى كتابة هذه السطور: نحو مليون و٣٠٠ ألف مسلم أصبحوا بـــلا مـــأوى وبـــلا طعام ..!!

ويحاصر في "سراييفوا" العاصمة ـــ منذ عدة أشهر ـــ تحت وابل النيران، أكثر من ٣٠٠ ألف مسلم، لا تصلهم المؤن التي ترسل إليهم من إخوانهم المسلمين، وذلك: بفعل الوحوش الآدمية،وتخاذل هيئـــة الأمم المتحدة، وتغافل حكام المسلمين ..!!

ونذكر مرة أخرى: أن الهدف من وراء هذه المذابح التي تجري للمسلمين، وعمليات الإبادة الجماعية لهم ـــ كما يعرف جميع المراقبين ويصرح الأستاذ إبراهيم نافع على صفحات الأهرام ـــ هو ضـــرب

الإسلام، حتى لا تقوم له قائمة في القارة الأوربية، بوصفه ــ كما يزعمون ويروجــون ــ الخطــر الأكبر الذي يهدد الحضارة الغربية، والمارد الذي خرج من قمقمة ليلتهم كل مــا بنــاه الغــرب في سنوات طويلة من حضارة وديمقراطية وتقدم، كما تروج "الميديا الصهيونية" المنتشرة في كل عواصم الغرب.

وصدق الله العظيم **(وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ)**[٢٦].

فمن هو هذا الشعب العريق الصامد ..؟

وما حقيقة مأساته ..؟

ذلك: ما تجيب عنه صفحات هذا الكتاب.

* * *

---

(١) التوبة: ٣٣.

(٢) ص: ٨٦، ٨٧.

(٣) القلم: ٥١، ٥٢.

(٤) الفرقان: ١.

(٥) كتاب الصلاة، باب قول النبي ρ جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً.

(٦) آل عمران: ١١٠.

(٧) ريتشارد نيكسون، الفرصة السانحة ص١٣٨.

(٨) التوبة: ٣٢.

(٩) ص١٤٦.

(١٠) قادة الغرب ص١١.

(١١) الموسوعة الثقافية ص٥٧.

(١٢) موسوعة العالم الإسلامي ٢/٨٤٤.

(١٣) قادة الغرب ص٥٩.

(١٤) قادة الغرب ص٦٠.

(١٥) موسوعة العالم الإسلامي ٢/٨٣٤.

(١٦) الموسوعة الثقافية ص٦٠، قادة الغرب ص٢٢.

(١٧) الأخبار ٢٥/٥/١٩٩٢م.

(١٨) الأخبار ١٩/٦/١٩٩٢م.

(١٩) الأخبار ١٩/٦/١٩٩٢م.

(٢٠) الأخبار ١٩/٦/١٩٩٢م.

(٢١) الأخبار ١٩/٦/١٩٩٢م.

(٢٢) الأخبار ٢٥/٥/١٩٩٢.

(٢٣) الأخبار ٢٥/٥/١٩٩٢م.

(٢٤) الأهرام ٢٩/٥/١٩٩٢م.

(٢٥) الأهرام ٢٩/٥/١٩٩٢م.

(٢٦) البقرة: ٢١٧.

الفصل الأول

الوضع الجغرافي لبلاد البلقان

- شبه جزيرة البلقان
- يوغسلافيا
- البوسنة والهرسك

شبه جزيرة البلقان

"بلاد البلقان" شبه جزيرة كبيرة، تقع في الجنوب الشرقي من أوربا.

وحدودها:

من الشرق: البحر الأسود.

ومن الغرب: البحر الأيوني، والبحر الأدرياتي.

ومن الجنوب: مضيق البسفور، وبحر مرمرة، ومضيق الدردنيل، وبحر إيجة.

ومن الشمال: نهر الساف والدانوب.

وأرضها جبلية: تضم جبال الألب الدينارية، وهضبة رودوب، وجبال البلقان: التي تمتد في شمال بلغاريا، وترتفع إلى ٢٦٠٠ متر عند "يومروكشال" وأشهر جبالها "جبال الألب" بالبوسنة.

ومضايقها مشهورة بالصعوبة في الحركات العسكرية.

وتضم شبه الجزيرة من البلاد: ألبانيا، وصلب بلاد اليونان، وجنوب شرق رومانيا، وبلغاريا، وتركيا الأوربية، ومعظم يوغسلافيا[١].

ويوجد مسلمون في جميع بلاد البلقان: تمتد جذورهم وأصولهم مع جذور وأصول سكان هذه البلاد على اختلاف أديانهم في الغالب.

* * *

يوغسلافيا

جمهورية "فيدرالية" يقع معظمها في: "شبه جزيرة البلقان" وتتكون من ست جمهوريات وعاصمتها: بلجراد.

وهذه الجمهوريات: كانت تعرف بعد الحرب العالمية الأولى بـ "مملكة الصربيين والكراوتيين والسلوفينيين"، وذلك منذ عام ١٣٣٦ هـ ١٩١٨م.

وفي عام ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م: أصبح أسمها "يوغسلافيا".

ومساحتها (٢٥٥٧٣٦كم^{٢}).

والجمهوريات الست التي تتكون منها هي:

١- صربيا .. وعاصمتها: بلجراد.

ومساحتها (٣٤١١٦ كم^{٢})

وعدد سكانها (٩,٠٠٠,٠٠٠ نسمة)

٢- كرواتيا .. وعاصمتها: زغرب.

ومساحتها (٢١٨٢٩ كم^{٢})

وعدد سكانها (٥,٠٠٠,٠٠٠ نسمة)

٣- البوسنة والهرسك .. وعاصمتها: سراييفو.

ومساحتها (١٩٧٤١ كم٢)

وعدد سكانها (٥,٠٠٠,٠٠٠ نسمة)

٤- سلوفينيا .. وعاصمتها: ليوبليانا.

ومساحتها (٧,٨١٩ كم٢)

وعدد سكانها (٢,٠٠٠,٠٠٠ نسمة)

٥- مقدونيا .. وعاصمتها: سكوبيه.

ومساحتها (٩,٩٢١ كم٢)

وعدد سكانها (١,٧٠٠,٠٠٠ نسمة)

٦- الجبل الأسود .. وعاصمتها: تيتو جراد.

ومساحتها (٥,٣٢٣ كم٢)

وعدد سكانها (٥٠٠,٠٠٠ نسمة) (٢).

ومعنى ذلك:

أن مساحة "يوغسلافيا" ـــ التي كانت ـــ هي: (٩٨,٧٥٩ كم٢)

وأن عدد سكانها الإجمالي هو: (٢٣,٢٠٠,٠٠٠ نسمة)

وكانت حدودها:

من الشرق: رومانيا.

ومن الغرب: البحر الأدرياتي.

ومن الجنوب: اليونان وألبانيا.

ومن الشمال: المجر، والنمسا.

ومعظم أرضه: جبلي، ويخترقها نهر الدانوب وروافده.

ويتكون شعبها من: الصربيين، والكرواتيين، والسلوفينيين، والمقدونيين، وبها أقليات، إيطالية، ومجرية.

ويوجد ضمن سكان كل جمهورية من هذه الجمهوريات الست: مسلمون. بل إن المسلمين يشكلون أغلبية بين سكان بعض هذه الجمهوريات، كما سنرى في "جمهورية البوسنة والهرسك".

بل أكثر من ذلك: فإن المسلمين على مستوى المجموع لهذه الجمهوريات الست: يشكلون الأغلبية بين أتباع الأديان الموجودة في هذه البلاد، كما سيتضح لنا قريباً.

* * *

جمهورية البوسنة والهرسك

تقع هذه الجمهورية: في غرب ووسط يوغسلافيا.

ويحدها: من الشرق: جمهورية الصرب.

ومن الغرب والشمال: جمهورية كرواتيا.

ومن الجنوب: جمهورية الجبل الأسود.

وهي جمهورية مستقلة استقلالاً ذاتياً.

وتتكون من:

البوسنة في الشمال.

والهرسك في الجنوب.

وتخترقها: جبال الألب الدينارية، ونهر السافا.

وأهلها: من البشانقة والصرب والكروات.

ويدينون: بالإسلام، والأرثوذكسية، والكاثوليكية.

ويشتغلون: بالزراعة.

"والسهول فيها قليلة، وأنهارها كثيرة جداً، ينفجر في كل جهة من جهاتها: عيون الماء العذب،وزرعها يسقي بالأمطار، وفيها فواكة كثيرة، متنوعة ولذيذة، وهواؤها حسن جداً للصحة صيفاً وشتاءاً، ولكن إذا حضر الشتاء تتغطى الأرض بغطاء من الثلوج البيضاء[٣].

وأشهدر مدنهم: "مدينة سراي" ويقال لها: سراية، وكان الأتراك يسمونها "بوسنة سراي" و"سراي بوسنة" وهي المعروفة الآن باسم "سراييفو"

وهي من المدن: التي أسسها المسلمون في أول دخولهم في هذه البلاد على شاطئ نهر صغير، يسمى "ميلاجفا".

وهي "العاصمة" ذات أنهار وأشجار.

وأهلها: أحسن الناس خُلُقاً[٤].

وقد خضعت هذه الجمهورية للحكم الإسلامي: من عام ٨٦٧هـ ـــ ١٤٦٣م حتى عام ١٢٩٥هـ ـــ ١٨٧٨م أي: (٥٣٨) عاماً تقريباً.

ثم ضمها مؤتمر "برلين" عام ١٨٧٨م لإدارة النمسا والمجر، مع بقاء السيادة لحكم تركيا "مقر الخلافة الإسلامية".

ثم في عام ١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م ضمت نهائياً إلى النمسا والمجر.

وفي عام ١٣٣٦هـ - ١٩١٨م بعد الحرب العالمية الأولى: كانت ضمن "مملكة الصربيين والكرواتيين والسلوفينيين".

وفي عام ١٣٤٨هـ - ١٩٢٩م: عرفت هذه المملكة باسم يوغسلافيا.

وفي عام ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م: أصبحت إحدى الجمهوريات التأسيسية للاتحاد "اليوغسلافي"[٥].

وفي ٢٦ من شعبان ١٤١٢هـ - ١٩٩٢/٣/١م: أصحبت "جمهورية مستقلة" استقلالاً تاماً عن "الاتحاد اليوغسلافي" عندما صوت سكانها لصالح هذا الاستقلال بنسبة ٩٩,٤% في هذا التاريخ[٦].

ويشكل المسلمون في الوقت الحاضر أغلبية سكان هذه الجمهورية إذا تصل نسبتهم ٤٥% من السكان.

كما تصل نسبة الصرب ٣١% من السكان.

والجنسيات الأخرى ٧% من السكان[٧].

* * *

---

(١) الموسوعة الثقافية ص٢٢٧، ودائرة معارف القرن الرابع عشر (العشرين) الأستاذ/محمد فريد وجدي ط٣ المجلد الثاني ص٣٤٤.

(٢) انظر الموسوعة الثقافية ١٠٧٠، د. محمد السيد غلاب .. الأهرام ١٩٩٢/٦/١٠م.

(٣) المختار من الجوهر الأسني ص٢٩.

(٤) المرجع نفسه ص٣٠.

(٥) انظر: الموسوعة الثقافية ص٢٤٣ ودائرة المعارف الإسلامية ٣٤٨/٨ وما بعدها.

(٦) وكالات الأنباء، وجميع الصحف.

(٧) انظر: العالم ١٩٩٢/٥/٢٠م.

الفصل الثاني

تاريخ الإسلام والمسلمين في البلقان

- في شبه جزيرة البلقان
- في يوغسلافيا
- في البوسنة والهرسك

تاريخ الإسلام في شبه جزيرة البلقان

تشير المصادر التاريخية إلى أنه في أواخر القرن الرابع الهجري وصل إلى منطقة البلقان مجموعة تسمى بـ "البشانقة" قادمة من منطقة نهر "الفولجا" بآسيا، والذي تربطه بموسكو "قناة موسكو": وكانوا يحملون معهم عقيدة الإسلام، حيث اعتنقه بعض مجموعاتهم هناك، وإن لم تكن تعاليمه قد رسخت تماماً في نفوسهم.

كما تشير هذه المصادر إلى أنهم أقاموا في منطقة جبلية من بلاد البلقان، وهي جمهورية البوسنة والهرسك اليوم.

وقد اتصل هؤلاء بأهل هذه البلاد فأثروا فيهم، مما نتج عنه: بُعْد أهلها عن مذاهبهم النصرانية، وتمسكهم بكره تزيين الكنائس، والتعميد، وعبادة الصليب، وتألية المسيح، والنزاع بين المادة والروح[١].

وهناك رواية أخرى تفيد: أن الإسلام جاء إلى هذه البلاد في هذا التاريخ تقريباً عن طريق الدعاة من المسلمين العرب الذين كانوا يقومون بالتجارة من ناحية البحر[٢].

ولكن يبدوا أن الإسلام لم يظهر بطريقة تلفت نظر الدولة الإسلامية، وتجذب رعايتها لأتباعه لأول مرة في هذه البلاد، إلا على يد الوالي الأنضاولي "صاري صلتيق" عام ٦٦٢هـ ـ ١٢٦٤م[٣].

ومضت بعد ذلك أعوام إلى زمان السلطان "أورخان الأول" ـ وطّد فيها العثمانيون أقدامهم على الشواطئ الأوربية للدردنيل ـ وكان ذلك عام ٧٥٥هـ - ١٣٥٤م[٤].

ثم فتح المسلمون مدينة "كليبولي" الكائنة على مجاز "الدردنيل"[٥].

ومنذ ذلك الزمن: صار الإسلام ينتشر في أوربا.

ودخل في ملك المسلمين بالتدريج ـ على ما بسط في التاريخ ـ بلاد: بلغاريا، اليونان، والصرب، والاوناؤد، وبسنة وهرسك.

ثم فتحت "القسطنطينية" فصارت جميع بالد البلقان" بلاد المسلمين[٦].

ثم تخطى الإسلام بلاد البلقان: فجاوز نهر "طونة" وفتحت بلاد "المجر" ودخل الإسلام في قاعدة ملكهم "بودين وبشنة"

واستمر الفتح: إلى أن قرع المسلمون، أبواب "ويانة" مرات.

ولعل أهم عامل في الفتح العثماني لبلاد البلقان: هو حركة الهجرة الشديدة غليها من الأناضول ـ في القرن الرابع عشر ـ والتي صبغتها بالصبغة التركية الإسلامية[٧].

و لم يكن اعتناق الناس للإسلام في بلاد البلقان بوجه عام: نتيجة لسياسة معينة انتهجتها الدولة الإسلامية في ذلك، أو لاستخدام القوة، كما يزعم بعض المستشرقين[٨].

خاصة أن الدولة حتى عهد "بايزيد الثاني" كانت تتبع سياسة متحررة جداً في مسألة الدين.

إذْ كان إقبالهم على الإسلام والدخول فيه: بدون تردد، وبطريقة سلمية، لاعتقادهم أن الإسلام هو المنقذ الوحيد من استعمار الكنيسة، وكذلك للسمعة الحنسة عن الإسلام وسماحته وعدلة بين الناس(٩).

ولذلك شهدت هذه الفترة تحول الكثير من الأشراف الذين اندمجوا في الطبقة العسكرية العثمانية، عن دينهم.

وقد حدث هذا بصفة خاصة بين "البوكومولية" في البوسنة.

أما بعد "بايزيد الثاني": فقد أصبحت الدولة العثمانية أكثر إحساساً بأنها دولة غسلامية، وأشد حرصاً على تطبيق الشريعة.

وقد أدى هذا وذاك إلى تحول الناس عن دينهم زرافات ... زرافات في هذه البلاد(١٠).

ثم ..

ثم دالت الأيام، وانقلبت الأمور، حتى لم يبق من المسلمين في أوربا بقايا إلا في: بلاد بوسنة وهرسك، وبلاد الأوناؤد، وبلاد مقدونيا، وبلغاريا، وتركيا الأوربية(١١).

* * *

تاريخ الإسلام في يوغسلافيا

في أواخر القرن الرابع الهجري: قدم البشانقة إلى هذه البلاد من منطقة نهر "الفولجا" ــ كما سبق أن ذكرنا ــ يحملون معهم عقيدة الإسلام.

في الوقت الذي كانت فيه القبائل "السلافية" التي تقطن أرض يوغوسلافيا: تتكون من مجموعات عديدة، أهمها، السلوفيون، والكروات، والصرب.

وكان الصرب: يعتنقون المذهب الأرثوذكسي، كما يعتنق السلوفيون والكروات: المذهب الكاثوليكي. وكان الصراع بين أتباع المذهبين شديداً.

حتى وصل البشانقة: الذين كونوا لهم ــ مع مرور الوقت ــ دولة خاصة بهم.

وفي أوائل القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي: غزت "المجر" منطقة "البشناق".

ولكن السيطرة المجرية لم تطل عليهم، حيث عادت دولة البشانقة من جديد: حينما غزاها العثمانيون، واستولت دولة الأتراك على الجزء الأكبر من شبه جزيرة البلقان، وجزء كبير من نهر الدانوب.

ودخل الإسلام ــ رسمياً إلى يوغوسلافيا في القرن التاسع الهجري ــ السادس عشر الميلادي(١٢).

وظل الأتراك العثمانيون يحكمون هذه المنطقة ما يربو على القرون الخمسة الأمر الذي أحدث بها تغيرات عميقة في الحياة: الاقتصادية والاجتماعية، والدينية، والثقافية.

وإنصافاً للحقيقة والتاريخ: يسجل الدارسون أن إقبال اليوغسلاف على اعتناق الإسلام والدخول فيه ــ كما هو الشأن مع غيرهم ــ كان بطريقة سليمة، وبدون تردد، لإيمانهم أن الإسلام هو المنقذ

الوحيد، وكذلك: لعدم ارتياحهم لسلطة الكنيسة، وتعاملها اللاإنساني معهم، ومن جهة ثالثة: للسمعة الحسنة عن الإسلام وسماحته وعدله بين الناس.

وقد عانى المسلمون في يوغسلافيا ـ خلال الحرب العالمية الثانية، وبعدها ـ أشد المعاناة، من القتل، والتشريد، والتضييق، والتجهيل كما سنعرف فيما بعد.

ومع مجئ الحكم الشيوعي: بدأ المسلمون يفقدون الكثير من الحريات الدينية القليلة التي كانت لهم. فكثير من الجوامع أغلقت أو هدمت، وكثير من علماء المسلمين هناك قتلوا أو حبسوا، أو طردوا من البلاد.

ويتمركز المسلمون الآن في جمهوريات: مقدونيا، والبوسنة والهرسك، وإقليم كوسوفو[١٣].

وتمتاز الأماكن التي يعيش فيها المسلمون في يوغوسلافيا بالآثار الإسلامية الباقية منذ العهد العثماني، كالمدارس، والجوامع، والمساجد، والمكاتب، والحمامات[١٤].

وحتى ندرك مدى كثرة هذه الآثار الإسلامية: نقرأ وصفاً لما كتبه الرحالة الشهير "أولياجلبي" وهو يصف البلاد التي فتحها المسلمون في أوربا.

فقد ذكر عند وصف مدينة "بلجراد" وهي من بلاد الصرب، وهي عاصمة "يوغوسلافيا" التي كانت. يقول: كان فيها مائتا مسجد وسبعة عشر مسجداً، وثماني مدارس، وتسع دور للحديث، وسبع عشرة تكية للذكر، ومائتا لتعليهم الصبيان، وسبعون مكتباً.

وبكل أسف: ليس فيها الآن من كل ما ذكره إلا مسجد واحد، يصلي فيه عدد قليل من التجار المسلمين، أو مسافريهم.

وقس على هذه المدينة غيرها[١٥].

وعلى كل حال: فلا يزال الإسلام ينتشر في ربوع يوغوسلافيا، والمسلمون هناك متمسكون بدينهم[١٦] بالرغم من التضييق والحصار والمذابح التي يتعرضون لها.

وأعدادهم تزداد يوماً بعد يوم، حتى أصبحوا أغلبية.

ذلك أنه: إذا كان عدد السكان في جمهوريات "يوغوسلافيا" الست هو (٢٣,٢٠٠,٠٠٠) نسمة: فإن عدد المسلمين بين هؤلاء جميعاً ـ حسب المتداول ـ هو ما بين (٦,٠٠٠,٠٠٠) و(٧,٠٠٠,٠٠٠) نسمة).

وذلك: في غياب إحصائيات رسمية، تحصر عددهم، حيث إن السلطات الرسمية تتعمد التقليل من شأنا لمسلمين هناك، عبر إغفال عددهم الحقيقي[١٧].

خاصة: أن المسلمين في "يوغوسلافيا" كمجموعات كبيرة هم[١٨]:

(١) البشناق الذين يشتركون مع الصرب والكروات في اللغة والجنس، أي من أصل سلافي.

(٢) الألبان.

(٣) الأتراك.

(٤) المسلمون الآخرون من الصرب والكروات.

وعلى سبيل المثال لهذا الإغفال المتعمد:

فإنه لا يتم تصنيف "الألبان" الذين يعيشون في "يوغوسلافيا" والذين يزيد عددهم على (٢,٥٠٠,٠٠٠) كمسلمين، وإنما كألبان.

وذلك: حتى يبقى العدد الرسمي للمسلمين صغيراً نسبياً.

ورغم ذلك: فإنه أحد المصادر الصحفية، وهي مجلة "رسالة الجهاد" عدد اكتوبر ١٩٩١م أشارت إلى أن العدد الحقيقي للمسلمين في يوغوسلافيا" هو (٨,٥٠٠,٠٠٠) نسمة واستندت في ذلك إلى ما نشرته المصادر الرسمية "للجمهوريات اليوغوسلافية" كل على حده، وبمعزل عن المركز الفيدرالي للإحصاء.

وفي هذه الحالة: فإن ذلك العدد ـــ لو صح ـــ يشير إلى حقيقة، غاية في الأهمية ..!!

وهي: أن الإسلام هو الديانة الأولى في "يوغوسلافيا".

حيث يبلغ عدد أتباعه ـــ كما ذكرنا ـــ (٨,٥٠٠,٠٠٠) نسمة بينما عدد الأرثوذكس هو (٧,٨٠٠,٠٠٠) نسمة وعدد الكاثوليك هو (٧,٢٠٠,٠٠٠) نسمة وعدد اتباع الدينات الأخرى (١,٣٠٠,٠٠٠) نسمة.

وفي أي الأحوال:

فإن هذا العدد الضخم من المسلمين ـــ نسبياً ـــ هناك: كان من المفروض أن يكون أضعاف ذلك، لولا عمليات: التهجير القسري والإعدامات، والمذابح الجماعية، التي تعرض لها المسلمون، عبر المجازر التي مرت بهم في تاريخهم[١٩].

والتي سوف نتحدث عنها ـــ بإذن الله تعالى ـــ في فصل خاص بها.

* * *

تاريخ الإسلام والمسلمين في "جمهورية البوسنة والهرسك"

جمهورية "البوسنة والهرسك" أو منطقة البوسنة والهرسك من أقدم البلاد في أوربا استقبالاً للإسلام.

وحتى نستطيع معرفة تاريخها وتاريخ أهلها مع الإسلام بشيء من التفصيل اليسير: نرى أنه من الضروري تقسيم تاريخ هذه البلاد العام ـــ عبر عصورها ـــ إلى المراحل التالية:

- المرحلة الأولى: وهي التي عاشتها البلاد قبل الحكم الإسلامي.

وتبدأ من فجر تاريخ هذه البلاد حتى عام ٨٦٧ هـ- ١٤٦٣م.

وفي هذه الفترة: قدم إليها ـــ في أواخر القرن الرابع الهجري ـــ وأقام فيها "البشانقة" المسلمون، وهم من العنصر "السلافي الصقلبي" الذي جاء من منطقة نهر "الفولجا" بآسيا[٢٠].

وذلك: لأن هذه المنطقة بالذات من شبه جزيرة "البلقان" تعتبر "مدخل" جسر كانت تعبر عليه الشعوب المختلفة منذ أقدم العصور في هجرالها من الجنوب الشرقي إلى الغرب، ومن الشمال إلى الجنوب[٢١]..

وقد كّون هؤلاء "البشانقة" ومن اعتنق الإسلام معهم من أهل هذه البلاد: دولة خاصة بهم.

وكانت هذه الدولة تتعرض لتراع الكروات، والصرب، والمجر.

بل إن الحقد الأعمى حرك حكام المجر لغزوهم في أوائل القرن السادس الهجري ــ الثاني عشر الميلادي، ولكن السيطرة للمجريين لم تطل .. حيث عادت دولة "البشانقة" من جديد. وظلت كذلك: حتى جاء الفتح العثماني، في القرن التاسع الهجري[٢٢].

ولما استشعر حكام هذه البلاد قوة الدولة العثمانية، وخافوا من غزوهم لهم صالحوهم على دفع الخراج، وعاهدوهم على ذلك.

وقد ظل هذا العهد نافذاً منذ زمن السلطان مراد الأول، حتى نقضه ملك البوسنة النصراني، وامتنع عن دفع الخراج، وكان ذلك في عهد السلطان محمد خان بن مراد ــ المعروف بالسلطان محمد الفاتح ــ فحاربه السلطان عام ٨٦٨هـ ــ ١٤٦٣م وانتصر عليه[٢٣].

وسلم البشناق الحصون والمدن إلى العثمانيين.

وخلال أسبوع واحد: انتقلت سبعون مدينة إلى السلطان محمد الفاتح.

- المرحلة الثانية: وهي التي عاشتها البلاد تحت حكم الدولة العثمانية.

وهي تبدأ من (٨٦٧ هـ-١٤٦٣م) إلى (١٢٩٥هـ-١٨٧٨م) أي ٤٢٨ عاماً.

ومنذ ذلك الوقت: دانت هذه البلاد لسلطان المسلمين وصارت دار الإسلام، وأصبحت "البوسنة والهرسك" بلاداً إسلامية تابعة للدولة العثمانية[٢٤] ثم دخل أهل هذه البلاد ــ من هذه الوقت ــ في دين الله أفواجاً.

ولكن هذا الوضع أثار أحقاد الأوربيين، إذْ حرض "النمساويون" أهل الصرب ضد العثمانيين المسلمين ..!!

لذلك: قامت الحروب، وتكررت المواقع، وتعددت هزائم أعداء الإسلام.

و لم يدم الحال حتى بدأت الدولة العثمانية تضعف، وبدأ يظهر ضعفها، وأخذت الهزائم تحل بها المرة تلو المرة.

إلى اضطرت بعد حكم إسلامي للبلاد دام ٤٢٨ عاماً للتنازل للنمسا والمجر عن بلاد البشناق "البوسنة والهرسك".

وكان ذلك عام ١٢٩٥هـ - ١٨٧٨م.

- المرحلة الثالثة: وهي التي عاشتها البلاد تحت حكم النمسا والمجر

وتبدأ من (١٢٩٥هـ - ١٨٧٨م) إلى (١٣٣٦هـ - ١٩١٨م) أي: ٤٠ عاماً.

ومنذ ذلك التاريخ: وقع المسلمون من أهل هذه البلاد ـــ لأول مرة بعد هذا التاريخ الطويل ـــ تحت حكم غير المسلمين[٢٥].

إذ احتلت النمسا والمجر "البوسنة والهرسك" بموجب اتفاق مؤتمر "برلين" الذي عقد في ١٨٧٨م، وكان آخر الولاة المسلمين من قبل الأتراك هو أحمد مظهر باشا.

ووضعت البلاد تحت الانتداب بمقتضى شروط هذه المؤتمر[٢٦].

وكان الحكم النمساوي الحاقد: شديد القسوة على المسلمين، يعمل على اضطهادهم وتشريدهم، ويحاول تنصيرهم، مما حمل الكثيرين منهم إلى الهجرة من البلاد إلى أراضي الدولة العثمانية، لدرجة أنه هاجر في هذه الفترة أكثر من ٣٠٠ ألف مسلم بوشناقي عدا غيرهم من مسلمي الجنسيات الأخرى.

وفي عام ١٣١٨هـ- ١٩٠٠ ثار من بقى من المسلمين بزعامة رئيسهم علي فهمي جاويتش على النمساويين.

وظلت ثورتهم وجهادهم طيلة تسع سنوات حتى نجحوا عام ١٣٢٧هـ-١٩٠٩م في الحصول على الحكم الذاتي في الأمور الدينية[٢٧].

ولما اندلعت الحرب العالمية الأولى، وهزت فيها النمسا والمجر: فرح المسلمون لخلاصهم من هذه الكابوس.

- المرحلة الرابعة:وهي التي عشاتها البلاد تحت حكم صربيا

وتبدأ من (١٣٣٦هـ- ١٩١٨م) إلى (١٣٦٠هـ-١٩٤١م) أي: ٢٣ عاماً.

إذْ تأسست الدولة "اليوغوسلافية" لأول مرة، وكانت عبارة عن "مملكة الصربيين والكرواتيين والسلوفينيين".

ذلك أنها: ضمت السلاف الجنوبيين.

وظن المسلمون أنهم قد تخلصوا من الاستعمار، والاضطهاد النمساوي ..!!

ولكنهم وجودا أنفسهم تحت ضغط آخر؛ إذْ غدر بهم الصرب، وأخذوا أراضيهم ـــ تحت شعار الإصلاح الزراعي ـــ وأعطوها للارثوذكس عام ١٣٣٧هـ - ١٩١٩ مما أدى إلى إفقار المسلمين[٢٨].

وظل المسلمون ينتقلون من سيء إلى أسوأ: حتى كانت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤١م.

- المرحلة الخامسة: وهي التي عاشتها البلاد تحت الحكم النازي (الحرب العالمية).

وتبدأ من (١٣٦٠هـ-١٩٤١م) إلى (١٣٦٤هـ-١٩٤٥م) أي: أربع سنوات.

وخلال هذه الحرب: حدثت مذابح بين الأرثوذكس والمسلمين من جهة، وبين الكاثوليك والمسلمين من جهة أخرى[٢٩].

- المرحلة السادسة: وهي التي عاشتها البلاد تحت الحكم الشيوعي:

وتبدأ من (١٣٦٤هـ-١٩٤٥م) إلى (١٤١٢هـ-١٩٩١م) أي: ٤٥ عاماً.

و لم يكن الشيوعيون إلا أسوأ من غيرهم بالنسبة للمسلمين.

إذْ غدروا بهم، كما غدر بهم الأرثوذكس بعد الحرب العالمية الأولى.

وتعرض المسلمون ـــ في ظل الحكم الشيوعي ـــ لمذابح كثيرة، ولتهديم مساجدهم ومدارسهم الدينية، ومؤسساتهم، وسادت موجة عنيفة ضد الدين عامة وضد المسلمين بشكل خاص[٣٠].

حتى كان انهيار النظام الشيوعي بصفة عامة، مما أدى بالتالي إلى تفكك "الاتحاد اليوغسلافي" عام ١٩٩١م.

- المرحلة السابعة: وهي التي تعاني منها البلاد تحت حكم الجزار الشهير "سلوبودان ميلوسيفيتش" بعد سقوط النظام الشيوعي.

وهذه الفترة: هي التي جرت فيها للمسلمين أشهر مذابح التاريخ.

وهي التي نكتب عن المسلمين في جمهورية البوسنة والهرسك بخصوصها ..

ويلاحظ: أنه خلال هذا الفصل من التاريخ الملطخ بالدماء والمليء بالقهر والقسوة والتشريد ـــ على ما سوف نوضحه في فصل خاص ـــ ضد المسلمين.

فإن عدد سكان هذه الجمهورية هو: (٥,٠٠٠,٠٠٠ نسمة) موزعون كالتالي[٣١]:

٤٥% من السكان مسلمون، أي (٢,٢٥٠,٠٠٠ نسمة).

٣١% من الصرب الأرثوذكس، أي (١,٥٥٠,٠٠٠ نسمة).

١٧% من الكروات الكاثوليك، أي (٨٥٠,٠٠٠ نسمة).

٧% أجناس وديانات أخرى.

كما أن المسلمين ـــ على الرغم من كونهم الأغلبية ـــ يعيشون داخل مناطق متخلفة اقتصادياً، ومحرومون هناك من أبسط الخدمات الإنسانية[٣٢].

فما ملامحهم ..؟.

وما أحوالهم ..؟.

وماذا يتعرضون له ..؟.

* * *

---

(١) المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص١٢٣.

(٢) فتحي ناجي منار الإسلام ص٣٢ عدد نوفمبر ١٩٩١م.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية ٨/٢٥.

(٤) انظر: المختار من الجوهر الأسني ص٢٤.

(٥) انظر: المختار من الجوهر الأسني ص٢٤.

(٦) المختار من الجوهر الأسني ص٢٤.

(٧) دائرة المعارف الإسلامية ٢٥/٨.

(٨) دائرة المعارف الإسلامية ٢٥/٨.

(٩) فتحي ناجي منار الإسلام ص٣٢.

(١٠) دائرة المعارف الإسلامية ٢٧/٨، ٢٨.

(١١) المختار من الجهور الأسني ص٢٤.

(١٢) المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص١٢٣.

(١٣) انظر فتحي ناجي "منار الإسلام".

(١٤) المرجع نفسه.

(١٥) المختار من الجوهر الأسني ص٢٥، ٢٦.

(١٦) فتحي ناجي منار الإسلام ص٣٣.

(١٧) أسعد طه الشرق الأوسط ١٨/٢/١٩٩٢م.

(١٨) انظر: المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص١٢٨.

(١٩) أسعد طه الشرق الأوسط ١٨/٢/١٩٩٢م.

(٢٠) المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص١٢٣.

(٢١) دائرة المعارف الإسلامية ٣٤٩/٨.

(٢٢) المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص١٢٣.

(٢٣) انظر: المختار من الجوهر الأسني ٣٥.

(٢٤) انظر: المختار من الجوهر الأسني ٣٥. المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص١٢٣ د. محمد السيد غلاب .. الأهرام ١٠/٦/١٩٩٢م.

(٢٥) المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص١٢٦.

(٢٦) دائرة المعارف الإسلامية ٣٩٣/٨.

(٢٧) المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص١٢٦، ١٢٧.

(٢٨) المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص١٢٧.

(٢٩، ٣٠) المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص١٢٧، ١٢٨.

(٣١) انظر: مجلة "المجلة" في ٢٠/٥/١٩٩٢م ص٩، د.محمد السيد غلاب .. الأهرام ١٠/٦/١٩٩٢م.

(٣٢) إبراهيم نافع الأهرام ١٩٩٢/٥/٢٩م.

الفصل الثالث

المسلمون في البوسنة والهرسك

- تمهيد
- دخولهم الإسلام
- لغتهم
- عقيدتهم ومذهبهم
- أعدادهم
- جمعياتهم
- التشريع والقضاء
- الآثار الإسلامية
- مدى فهمهم للإسلام
- أصلهم
- صفاتهم
- كتابتهم
- ثقافتهم
- صحافتهم
- نظام التعليم عندهم
- مجلس العلماء والفتوى
- مدى تمسكهم بالإسلام
- خاتمة

١- تمهيد

في هذا الفصل نقدم تعريفاً سريعاً بملامح هذا الشعب الأبي المسلم الذي يقف صامداً عبر مراحل التاريخ حتى اليوم أمام حملات الطغاة وهجمات الهمج الحاقدين، الذين يعملون جاهدين لطمس هويته، وصرفه عن عقيدته، وفصله عن شريعته.

ومن المعلوم: أن شعب هذه الجمهورية يتكون من المسلمين وغيرهم، والمسلمون بدورهم ينحدرون من أصول صربية وكرواتية، وجنسيات أخرى[١].

وحديثنا هنا: عن المسلمين فقط من أهل هذه البلاد.

* * *

٢- أصلهم

شعب "البوسنة والهرسك"[٢] من الصقالبة.

والصقالبة: قوم حمر الألوان، صهب[٣] الشعور.

ويقال للرجل الأحمل: صقْلاب؛ بشبيهاً بهم[٤].

ويختلف المؤرخون في مساكنهم الأصلية: اختلافاً كبيراً.

ويستخرج من مجموع أقولهم: أنهم كانوا يسكنون في آسيا، ويتاخمون "الخزر" وبعض جبال الروم.

ثم لما هجمت عليهم القبائل المغيرة، المختلفة، من الجهة الشرقية لبلادهم: تحركوا إلى الغرب.

وفي النهاية: استقرت بعض قبائلهم — الذين كانوا قد اعتنقوا الإسلام قبلاً — وهم البشناق — في "البوسنة والهرسك" وما حولها من بلاد البلقان.

وهؤلاء هم المعروفون بصقالبة الجنوب.

وقد كوّن هؤلاء، في منطقة البوسنة والهرسك، مع من اعتنق الإسلام، بمضي الزمان، — منذ ذلك التاريخ البعيد — دولة خاصة بهم على نحو ما ذكرنا سابقاً في المرحلة الأولى من تاريخ الإسلام والمسلمين في هذه البلاد[٥].

* * *

٣- دخولهم الإسلام

لما جاء[٦] "البشانقة" المسلمون قديماً من موطنهم الأصلي في آسيا من جهة "نهر الفولجا" واختلطوا بأهل هذه البلاد من "الأرثوذكس، والكاثوليك" وغيرهم .. تأثر بهم هؤلاء وهؤلاء، حينما وجدوا فيهم: سماحة الإسلام، وعدله بين الناس.

في الوقت الذي كانوا يعانون فيه من بطش الكنيسة، وقسوتها عليهم، ومعاملاتها اللاإنسانية معهم.

كما وجود هؤلاء وهؤلاء في اعتناق الإسلام: منقذاً لهم من هذا الظلم، وتلك القسوة.

ولذلك دخلوا في دين الله طواعية، ودون إكراه، ثم أخذ إقبالهم على الدخول في هذا الدين يزداد يوماً بعد يوم(٧).

إلى جانب: أن تطور المدن في بلاد "البوسنة" إلى مراكز للإسلام ـــ خلال الحكم الإسلامي للبلاد ـــ قد أثر تأثيراً طيباً على القرى المجاورة لها مما أدى إلى انتشار الإسلام بإطراد بين فلاحي كثير من المناطق، منذ القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي.

وهكذا: وضع الأساس لاعتناق عدد عظيم من أهل البلاد للإسلام(٨).

وموضوع دخول أهل "البوسنة والهرسك" في الإسلام، جماعات جماعات أو تدريجياً يدور حوله اختلاف بين الباحثين والمؤرخين.

ذلك أنه:

كان سائداً ومقبولاً قبل الحرب العالمية الأولى أن أهل "البلاد" دخلوا في الإسلام جماعات: نظراً لعدالة الإسلام وهروباً من الكنيسة، وكسباً لبعض المميزات.

حتى نهض بعض العلماء "اليوغوسلافيين" فيما بين الحربين العالميتين، وبرهنوا على أن بعض هذه المفاهيم لا أساس لها.

وأنه إذا كانت اضطهادات الكنيسة للناس حقيقة قائمة، فإن دخول الناس في الإسلام كان شيئاً فشيئاً، بعدالته، وسماحة أهلة وتعاليمه، وهروباً من الكنيسة في الوقت نفسه، وليس من أجل مكاسب أو مميزات بعينها، خاصة أن نبلاء البوسنة لم يحتفظوا بأملاكهم بعد الفتح الإسلامي للبلاد، كما أ، ملكية الأرض الزراعية قد تطورت تدريجياً حسب نظام تقسيم الأراضي الزراعية القديم(٩).

ولذا نرى:

أن دخول أهل البلاد في الإسلام لأسبابه قبل الفتح الإسلامي كان تدريجاً.

وأن دخولهم فيه بعد الفتح الإسلامي أخذ يزداد كثيراً للأسباب سالفة الذكر، ولا يزال الناس هناك يدخلون في الإسلام حتى اليوم(١٠).

* * *

٤– صفاتهم

أهل "البوسنة والهرسك": شقر الشعور، حمر الوجوه، طوال القامة، أجسامهم قوية، قسماتهم مليحة، وجوههم تعلوها الابتسامة.

وهم من أحسن الناس خلقاً، وحبهم لسائر المسلمين واضح وشديد، وارتباطهم الفكري بإخوانهم في الأقطار الإسلامية والعربية قوي.

وهم لا يعترفون إلا بالرابطة الإسلامية، فهم لا يعترفون ـــ كما يفهمون من دينهم ـــ بقومية، ولا عصبية جاهلية.

لذلك: فهم يحافظون على تمسكهم بعادات المسلمين في الزي وغيره.

فكنت تجد أكثر الرجال ـــ قبل الحرب العالمية الثانية ـــ يلبسون العمائم، ومن لم يكن متعمماً: فإنـــه يلبس "الطربوش" ويطلقون اللحى.

كما كنت تجد أكثر النساء كذلك: محجبات، محتشمات، لا يرى منهن في الشوارع شيء، لا الوجه، ولا اليدين، ولا غير ذلك[١١].

وكان حبهم لإسلام وأهله: يسري في دمائهم جميعاً، لا فرق في ذلك بين الرجل ـــ منهم ـــ والمرأة، أو العالم والجاهل.

ولما قامت الحرب العالمية الثانية، وتبعها الحكم الشيوعي بفساده، وحربه للدين الإســـلامي خاصـــة: نشأت فيهم ـــ نتيجة لذلك ـــ ناشئة جديدة، فيهم من الجهل بالدين، والضعف العقلي،والبعد عـــن الالتزام بآداب الإسلام ما فيهم.

إذ تجد كثيراً منهم: لا يرى الدين إلا عادات تقليدية، ورثها الخلف من أسلافهم، بدون تفكير وبحث وحرية وتعقل.

وهذا شيء منطقي لظروف القهر والاضطهاد، التي مرت بهم، ونزلت عليهم[١٢].

حيث إنه ما سقط النظام الشيوعي: إلا وتفجر المكبوت فيهم، من حبهم للإسلام وأهله، والتـــزامهم بتعاليمه وآدابه، وإقبالهم على منابعه وعلمائه.

وقد ساعدهم على هذه العودة السريعة: فطرة سليمة، وشوق للإسلام مخنوق.

فقد أصبحت الغالبية الآن: في شوق جارف للإسلام، وإقبال شديد عليه، وانضمام صادق مع بعضهم البعض في "حزب المسلمين" الذي يرأسه المجاهد، علي عزت بيجوفيتش، رئيس الجمهورية.

* * *

٥- لغتهم التي يتحدثون بها

مسلموا البوسنة والهرسك: يتحدثون بـــ"الإسلافية" كجيرانهم من أبناء جنسهم "الصرب والكروات" وغيرهم.

وهذه اللغة: غير بعيدة: من اللغة "الروسية" ؛ لأن أصلها واحد، وهي "اللغة الإسلافية القديمة"

ولهؤلاء المسلمين: ألفاظ كثيرة ـــ من غير هذه اللغة ـــ تركية وعربية وفارسية، دخلت إلـــيهم مـــع الإسلام[١٣] واختلاطهم بالأتراك والعرب المسلمين.

ومنذ عام ١٢٩٥هـــ-١٨٧٨م بدأت مع الغزو النمساوي هجرة الألفاظ والعبارات التركية والعربية والفارسية في لغة الحديث، وذلك مع تطور اللغة "الصربوكرواتية" وبتأثيرها وتوحيد قواعدها، والقهر الذي تعرض له المسلمون.

ثم ازداد ذلك منذ عام ١٣٣٦هـــ-١٩١٨م[١٤].

ولكن: لتعلق أهل البلاد باللغة العربية ولغات المسلمين لم تنقرض هذه الألفاظ نهائياً حتى خلال الحكم الشيوعي الذي حاربها بالحديد والنار.

ولذلك: فهي موجودة، وقد ظهرت مرة أخرى بوضوح عقب سقوط الشيوعية.

* * *

٦- كتابتهم

وأما كتابتهم: فلهم ــ كما لغيرهم من أبناء جنسهم ــ كتابتان:

- كتابة بالحروف اللاتينية.
- وكتابة مأخوذة من الحروف اليونانية القديمة.

وينفرد المسلمون من أهل هذه البلاد بنوع ثالث من الكتابة خاصة بهم.

وهي كتابة بالحروف العربية: اصطلحوا فيها على اصطلاحاتهم توافق لغتهم وهذه الكتابة: قديمة، وضعها قدماء علمائهم.

ولهذه الكتابة فوائد جملة لمسلمي هذه البلاد.

منها: أن الولد يتقن الكتابة العربية وحروفها، فيسهل عليه بعد ذلك، تعلم قراءة القرآن وحفظه.

ومنها: المساعدة على نشر كتب الفقه والعقائد وغير ذلك بها.

وقد جرى على ذلك مسلمو تلك البلاد: فطبعوا "مطبعة المسلمين" الخاصة بهم كتباً كثيرة متعلقة بمسائل الدين[١٥].

وكانت هذه الحروف العربية تستخدم ــ كذلك ــ في كتابة نصوص الآداب العربية الكرواتية، التي ينشئها المسلمون في البوسنة والهرسك[١٦].

كما كانت: هي الكتابة الرسمية للمسلمين في هذه البلاد.

كما كانت تستعمل ــ كذلك ــ في كتابة بعض المتون الصربوكرواتية الدينية أثناء حكم النمسا، وفي يوغسلافيا قبل الحرب[١٧].

وبعض الكتب المطبوعة بهذه الحروف: مازل الحصول عليها متاحاً.

وكان الهجاء في هذه اللغة ــ في البدء ــ اجتهادياً، ثم سنَّت لها قواعد تدريجياً بعد ذلك[١٨].

هذا ..

ويقول واضعوا دائرة المعارف الإسلامية: إن هذه الحروف لا تكاد تستعمل بعد سنة ١٩٣٠م. حتى ولا في الكتب الدينية[١٩].

بينما يفيدنا الشيخ محمد بن محمد بن محمد بن صالح بن محمد البوسني، المعروف بـ "الخانجي" من مواطني بوسنة، ونزيل القاهرة عام ١٣٤٩هـ -١٩٦٨م.

في كتابه "المختار من الجوهر الأسني في تراجم علماء وشعراء بوسنة"[٢٠] قائلاً:

"و لم تكن هذه اللغة منتشرة، كما انتشرت في الأزمنة الأخيرة[٢١]".
حتى جاء الحكم الشيوعي للبلاد فمنعها نهائياً في الكتابات بأنواعها.

* * *

٧- عقيدتهم ومذهبهم

وأهل "البوسنة والهرسك" من أهل السنة والجماعة.
ومذهبهم في الأصول: مذهب أبي منصور الماتريدي رحمه الله تعالى[٢٢].
ومذهبهم في الأحكام: مذهب أبي حنيفة النعمان، رضي الله عنه، ولا يوجد فيهم من ينتسب إلى مذهب غيره[٢٣].

* * *

٨- ثقافتهم

كان أسلوب المعيشة ــ العامة والخاصة ــ عند مسلمي البوسنة والهرسك:
شبيهاً بأمثاله في الولايات المتحدة الأخرى من الدولة العثمانية.
و لم تختف العناصر المميزة للثقافة الإسلامية حتى أيامنا هذه، بالرغم مما مر بالبلاد من أهوال وأحوال ..!!
والأكثر من ذلك: أنها لم تختف حتى بين النصارى.
فما بال المسلمين ..!!
إذ يوجد أخلد آثار النفوذ الثقافي الإسلامي في ميدان العمارة وتخطيط المدن.
كما يوجد منهم العلماء والشعراء.
وقد أحصى صاحب كتاب "المختار من الجوهر الأسني" في هذا الكتاب ــ حسب ما تيسر له منهم ــ مائتين وثلاثة وعشرين عالماً وشاعراً، من أهل هذه البلاد، الذين تأثروا بالثقافة الإسلامية، وأثروا بها[٢٤].
ويصرح قائلاً: لم نذكر في هذه العجالة سوى العلماء والشعراء، أما غيرهم ممن اشتهر في الوظائف السياسية وغيرها، فتركناهم الآن على كثرتهم[٢٥].
وتحفل كذلك دوائر المعارف بالكثير من هؤلاء الذين تأثروا بالثقافة الإسلامية، فرفعت شأنهم، وأعلت ذكرهم.
ومن يراجع الجزء الثامن من دائرة المعارف الإسلامية: يلاحظ ذلك جيداً[٢٦].
وقد كانت المكاتب والمدارس والمعاهد الدينية (المساجد، والتكايا، وأمثالها) مستنبت التربية الإسلامية والثقافة في البوسنة والهرسك، كما كانت في كل الولايات التركية.

والمكاتب كما هي العادة: كانت ملحقة بالمساجد، وكانت تقوم بالتربية الابتدائية التي أساسها تعليم قراءة القرآن والمبادئ الدينية الأولية، أما المدارس الثانوية والعالية، فقد أنشئت على غـــرار المـــدارس التركية(٢٧).

وكانت روافد الثقافة الأولية هذه تؤهل خريجها إلى الالتحاق بواحدة من الكليات القليلة، مثل كلية تدريب القضاة الشرعيين، أو المدرسة العليا للشريعة وأصول الدين الإســـلامي، وهـــي في مســـتوى الكلية.

حتى أغلقت هذه المنافذ إبتدائاً من ١٣٧١هــ-١٩٥٢م في عهد تيتو(٢٨) ـــ فتحول من أراد التوسع في العلم إلى خارج البلاد، بعد أن يتعلم مبادئ العلوم في بلاده.

وكان أكثر الطلبة ـــ بل كلهم ـــ يذهبون إلى مدارس "استانبول" فيأخذون من علمائها.

وقد سد أمامهم هذا الطريق ـــ كذلك ـــ وبدأ يفدون إلى الأزهر الشريف، ينهلون مـــن معارفـــه، ويأخذون عن علمائه.

وعلى سبيل المثال، فإن الطلاب الوافدين إلى الأزهر والمقيدين بكلية أصول الدين بالقـــاهرة فقـــد في العام الدراسي ١٩٨٨/١٩٨٩م بلغ ٤٤ دارساً، وفي العـــام الدراســـي ١٩٩٠/١٩٩١ بلـــغ ٥٩ دارساً(٢٩).

ولهذه العامل وغيرها: فإن البوسنة والهرسك، تكتظ بنخبة من المثقفين المسلمين، الذين:

أ- ثاروا بزعامة رئيسهم "علي فهمي جاوتش" على النمساويين، وحصلوا علـــى الحكـــم الذاتي في الأمور الدينية عام ١٣٢٧هــ ١٩٠٩م(٣٠).

ب- أسسوا الحزب الإسلامي برئاسة "د.محمد سباهو" عام ١٣٣٨هــ-١٩١٩م، والـــذي شكل عدداً من الحكومات بين الحربين(٣١).

ت- كانت لهم كلية إسلامية "بسرايبفو" العاصمة،ومدارس في "ســـرايبفوا" وغيرهـــا مـــن المدن(٣٢).

ث- لديهم "اتحاد النساء المسلمات" الذي تمارس عضواته نشاطاً مكثفاً هذه الأيام في القضايا الإنسانية، مثل: إيواء المهاجرين والفارين من مناطق الحرب ومعالجة مشاكل المتضررين من البطالة، وغيرها(٣٣).

ج- لهم الشوق العارم إلى الثقافة الإسلامية وعلومها، وهو نفس الشوق والشـــغف الـــذي وجده محمد الفاتح عند أجدادهم، ومما يذكر أنه عندما عرض علـــيهم أن يســـتجيب لطلباتهم: طلبوا منه إيفاد أبنائهم إلى مراكز العلم والنور في الدولة الإسلامية(٣٤).

ح- لهم الفهم الشامل للإسلام والإحساس الكامل بالمسلمين في بقاع الأرض كلها.

وظل الحال على ذلك: حتى قاوم الحكم الشيوعي للبلاد ـــ وكَبَت ـــ هذه الأمور، التي حبست، فنشأ في غيابها جيل جديد، بعيد عنها.

إلى أن سقط النظام الشيوعي: فكانت المفاجأة التي كشفت عن عدم ضياع الثقافة، حيث ظهر معدن هذا الشعب وارتباطه بثقافته الإسلامية ودينه القويم، وعودته الصادقة إليه مرة أخرى بسرعة مذهلة، بين الصغار والكبار، والنساء والرجال والأطفال.

ويلاحظ ذلك جيداً الآن بين الشباب وكذلك خلال مجازر "سلوبودان".

* * *

٩- أعدادهم

في عام ١٢٩٢هـ-١٨٧٥م:

ووفق التعداد الذي أجرته السلطات التركية عندما كانت هذه البلاد تابعة لتركيا: كان عدد شعب البوسنة والهرسك يبلغ (١,٠٥١,٠٠٠ نسمة)[٣٥] منهم: المسلمون وغيرهم.

وفي عام ١٣٢٨هـ-١٩١٠م: بلغ تعدادهم ـــ (١,٨٩٨,٠٤٤ نسمة) فيهم ٦١٢,٠٠٠ نسمة من المسلمين فقط، أي بنسبة ٣٢,٢%.

وفي عام ١٣٣٦هـ-١٩١٨م: كانت نسبة المسلمين في البوسنة والهرسك ٣٨,٧% من السكان[٣٦].

ونتيجة للاضطهاد والطرد ونقل النصارى إلى البلاد التي خلت من المسلمين.

وصلت النسبة في عام ١٣٥٠هـ-١٩٣١م إلى ٣٠,٩% للمسلمين بين السكان[٣٧].

وفي عام ١٣٧٣هـ-١٩٥٣م إلى بلغ تعداد سكان البوسنة والهرسك (٢,٨٤٧,٧٩٠نسمة) وكانت نسبة المسلمين فيهم هي ٣٢,٣%[٣٨] أي ٩٢٠,٨٣٦ نسمة.

وفي عام ١٣٩١هـ-١٩٧١م بلغ تعدادهم (٤,٢٥٠,٠٠٠ نسمة) وكانت نسبة المسلمين فيهم هي ٣٣,٥% (أي ١,٤٢٣,٧٥٠ نسمة) [٣٩].

نسبة المسلمين فيهم ٤٥% أي (٢,٢٥٠,٠٠٠ نسمة) ونسبة الصرب هي ٣١% والكروات ١٧% والباقي ٧% لنوعيات أخرى[٤٠].

ويلاحظ أن النسبة حتى ساعة كتابة هذه السطور في عام ١٤١٣هـ-١٩٩٢م هي ٢٤,٦٥% من مجموع السكان.

وذلك: بعد طرد وتشريد (١,٣٠٠,٠٠٠) مسلم حتى ١٩٩٢/٧/١م.

وكذلك: ذبح ٥٠ ألفاً من المسلمين حتى نفس التاريخ.

وعلى افتراض ـــ جدلي وخيالي ـــ أنه لن يحدث نقل للصرب في المناطق التي خلت من المسلمين، كما حدث في المذابح السابقة: إذْ يظل عدد السكان الباقين ٣,٦٥٠,٠٠٠نسمة.

أما إذا حدث نقل فإن النسبة سوف تهبط عن ذلك بكثير.وينبغي أن يلاحظ كذلك:

ب- أن المسلمين أكثر سكان المنطقة تعرضاً للطرد والهجرات والتشريد والمذابح، مما أثر على عدم تنامي أعدادهم، كما هو الحال في البلاد الإسلامية في البقاع الأخرى.

ت- أن بعض المصادر تشير إلى أن معدل الزيادة بين المسلمين هناك ـــ بالرغم من جميع العوامل التي تحول دون زيادتهم ـــ وصل إلى ٩٩% في بعض الأحيان، كما في الفترة ما بين عام ١٣٥٠-١٣٩١هـ الموافق ١٩٣١-١٩٧١م[٤١].

ث- أنه كلما ارتفعت نسبة المسلمين بين السكان في هذه البلاد: كانت المذابح، وعمليات الطرد والتشريد الجماعي لهم من ديارهم.

وكان ذلك يتم كل ٣٠ أو ٤٠ عاماً تقريباً.

ج- أن معظم هذه الإحصائيات تمت في عهود الاحتلال للمسلمين في البوسنة والهرسك: سواء أكان كان هذا الاحتلال من النمساويين أم الصربيين أم الشيوعيين وأن هؤلاء كانوا يتعمدون التقليل من أعداد المسلمين بالوسائل العديدة.

أعداد المسلمين في البوسنة والهرسك ونسبتهم بين السكان الآخرين			
سنة الإحصاء	**عدد السكان**	**عدد المسلمين**	**نسبة المسلمين**
١- ١٣٢٨هـ-١٩١٠م	١,٨٩٨,٠٤٤	٦١٢,٠٠٠	%٣٢,٢
٢- ١٣٣٦هـ-١٩١٨م			%٣٨,٧
٣-١٣٥٠هـ-١٩٣١م			%٣٠,٩
٤-١٣٧٣هـ-١٩٥٣م	٢,٨٤٧,٧٩٠	٩٢٠,٨٣٦	%٣٢,٣
٥-١٣٩١هـ-١٩٧١م	٤,٢٥٠,٠٠٠	١,٤٢٣,٧٥٠	%٣٣,٥
٦-١٤١٢هـ-١٩٩١م	٥,٠٠٠,٠٠٠	٢,٢٥٠,٠٠٠	%٤٥,٠
٧- خلال مذابح ١٩٩٢م	٣,٦٥٠,٠٠٠	٩٠٠,٠٠٠	%٢٤,٦٥

* * *

١٠- صحافتهم

أ- في عام ١٣٢٧هـ-١٩٠٩م ظهرت في البوسنة والهرسك أربع صحف إسلامية.

ب- كما كان هناك "مجلة الجمعية الوطنية للمعلمين والأئمة" "بسراييفو" وقد كانت تكتب باللغة الصربية المكتوبة بحروف عربية، وأثبتت الأبجدية العربية وفاءها بحاجة اللغة الصقلية[٤٢].

ت- وحتى عام ١٣٤٩هـ-١٩٦٨م كانت هناك ـــ في البوسنة والهرسك ـــ ثلاث مجلات وجريدة إخبارية واحدة.

منها: مجلة تسمى "الحكمة" تدافع عن الإسلام، وتجاهد فيه.

وأما المجلتان الباقين: فلا يرضي المسلمون عن طريقتهما؛ لإعراضهما عن المدافعة عن الإسلام[٤٣].

خ- وهناك الآن ـــ كذلك:

صحيفة تسمى "صوت المسلمين" تصدر من "سراييفو"[٤٤].

مجلة "البلاغ" كانت تصدرها الطائفة الإسلامية في يوغوسلافيا[٤٥].

صحيفة "النهضة الإسلامية" وهي نصف شهرية، تصدر تحت رئاسة وإشراف المفتي الشيخ "أحمد صالح شولاكوفيتش".

مجلة "المعلم" وهي: شهرية، تصدر ـــ كذلك ـــ تحت رئاسة المفتي "الشيخ أحمد صالح شولاكوفيتش"

مجلة "زمزم" وهي مجلة تصدر شهرية لشباب المسلمين[٤٦].

* * *

١١- جمعياتهم

وللمسلمين في بلاد "البوسنة" جمعيات كثيرة.

بعضها: لإعانة الطلبة في داخل البلاد وخارجها.

وبعضها: لإيواء المهاجرين والفارين من مناطق الحروب، وحل مشاكل المتضررين من البطالة.

ومن هذه الجمعيات النافعة[٤٧].

١- جمعية الحرية..

وهي جمعية: تعتني بتعليم أولاد الفقراء واليتامى، أنواع الصنائع.

٢- جمعية المرحمة.

وهي جمعية: تسعى لإعانة الفقراء العاجزين: وتجمع الزكاة من أرباب الأموال، وتدفعها إلى المستحقين.

٣- إتحاد النساء المسلمات.

وتقوم عضواته بنشاط جاد في إيواء المهاجرين والفارين من مناطق الحروب، وحل مشاكل البطالة.

٤- الجماعة الدينية الإسلامية التي تأسست منذ عام ١٢٩٥هـ-١٨٧٨م والتي عدلت بقانون عام ١٣٧٣هـ ١٩٥٣م الذي فصل التنظيمات الدينية عن الدولة، واعتبر اعتناق مسألة دينية مسألة خاصة.

٥- الجمعية التشريعية العليا للأوقاف.

وهي التي رخصت من أجل البناء الاتحادي لدولة "يوغوسلافيا" بإنشاء "مجالس علماء و"جمعيات تشريعية للأوقاف" كل على حدة، في الجمهوريات الأربع، التي يؤلف المسلمون فيها جانباً عظيماً من السكان.

٦- المنظمة الإسلامية اليوغوسلافية.

وهي "الحزب الإسلامي" الذي تزعمه د.محمد سباهو.

إلى غير ذلك من الجمعيات والتنظيمات الإسلامية التي تؤكد على تفاعل المسلمين مع الأوضاع الاجتماعية والسياسية المحيطة بهم، وتبرز رغبتهم الجادة الواعية في الإعلان عن هويتهم وعقيدتهم والعمل على صيانتها من الضياع والذوبان في القوميات المتصارعة والمحيطة بهم، والمخالطة لهم، والمتحاربة معهم.

ويلاحظ:

أن بعض هذه التنظيمات كانت تنشئها الدولة، وتحدد وظائفها، ومهامها، والبعض الآخر: يكون العمل فيه تطوعياً، ويعتمد في نجاحه وأداء رسالته على الجهود الخاصة، الشعبية والفردية.

* * *

١٢- نظام التعليم

أولاً: المدارس

بعد أن نال المسلمون في البوسنة والهرسك الحكم الذاتي في الأمور الدينية، نتيجة ثورتهم وجهادهم، الذي دام تسع سنوات، من أجل ذلك ـــ خلال الحكم النمساوي للبلاد ـــ بقيادة "علي فهمي جاويتش[٤٨]" عام ١٣٢٧هـ-١٩٠٩م ادخلوا إصلاحات واسعة على نظام التعليم.

فأنشئت المكاتب: لتحفيظ القرآن الكريم، وتعليم الكتابة، وقد بلغ عددها ١٠٠٠ مكتب على الطريقة القديمة.

وأنشئت ـــ كذلك ـــ المدارس الإبتدائية الخاصة، لسد حاجات المسلمين الدينية والاجتماعية.

واتجهت العناية لتعليم البنات المسلمات بقدر الإمكان، وكانت أهم المعاهد الخاصة بذلك هي "مدرسة البنات المسلمات" بسراييفو.

وكان هناك: سبع مدارس أخرى دينية: لتثقيف البنات المسلمات، ومعهد ديني للمعلمات.

كما كان هناك ـــ منذ عام ١٣١٠هـ ١٨٩٣م دار المعلمين بسراييفو.

وكذلك: كانت كلية الشريعة ـــ منذ عام ١٣٠٢هـ-١٨٨٥م بسراييفو لسد حاجات من حاجات الإسلام.

ثانياً: طرق التدريس

وأما طريقة تعلمهم للعلوم الدينية في هذه المدارس، فكانت تسير على النحو التالي:

أ- لابد من أن يدخل الولد الصغير "المكاتب" يتعلم فيها: الخط العربي، وقراءة القــرآن، ومـــا يلزمه من العبادات، وأمور العقائد.

ويمكث الولد في هذه المدارس "المكاتب" سنتين أو ثلاثة.

وهذه المدارس ينفق عليها من أوقاف المسلمين.

ب- ثم يدخل المدارس الأولية، ليتعلم فيها كتابة تلك البلاد، ومبادئ العلوم اللازمة.

وهذه مدارس عامة للمسلمين وغيرهم.

ويمكث الطلاب فيها أربع سنوات.

ت- ثم يدخل المدارس الثانوية.

ومدة التعليم فيها: ثماني سنين.

وبعض هذه المدارس الثانوية خاص بالمسلمين: يدرسون فيها:

اللغة العربية: نحوها وصرفها، وعلوم بلاغتها، وتاريخ آدابها، ويطالع أشعاراً منتخبة من شعراء الجاهلية والإسلام.

العلوم الدينية: الفقه، والعقائد، وتاريخ الفرق الإسلامية، والأخلاق، وسيرة رسول الله ρ، وتـــاريخ الإسلام.

وكان كل ذلك: يدرس باللغة العربية الفصحى.

وأما في كلية الشريعة: فقد كانت مدة الدارسة بهذه الكلية: خمس سنوات.

وتقوم بتدريس المواد الآتية لطلابها.

اللغة العربية ــ المنطق ــ علم المعاني ــ البيان ــ العقائد ــ الفقه وأصوله ــ السنن ــ الفرائض ــ أصول المحاكمة ــ الفقه الأوربي ــ لغة البلاد ــ الحســـاب ــ الجغرافيـــا ــ التـــاريخ ــ الخـــط العربي(٤٩).

وقد أغلقت المدارس التي قامت على هذا الطراز القديم في العهد الشيوعي للبلاد(٥٠) وكان مـــن أراد التوسع في العلم يرحل ــ بعد ذلك ــ إلى خارج البلاد.

فكان أكثر طلاب العلم يذهبون إلى مدارس وجامعات "استانبول" بتركيا، حتى سد أمـــامهم هـــذا الباب. فاتجهوا أخيراً إلى مصر المحروسة، وبدؤا يفدون على الأزهر الشريف للإغتراف من علومـــه. ومعارفه الدينية(٥١)، كما ذكرنا سابقاً.

* * *

١٣- التشريع والقضاء

أ- يتخرج القضاة والمفتون من كلية الشريعة بسراييفو، بعد إتمام الدارسة فيها.

ب- وقبل أن يتقلد أحدهم وظيفة "القاضي الشرعي" يدخل في إحدى المحاكم الشرعية، ليتمرن فيها لمدة سنتين أو أكثر.

ج- وللمسلمين في بلاد "البوسنة والهرسك" محاكم شرعية في كثير من المدن.

د- وقد حددت حكومة البوسنة والهرسك سلطات المحاكم الشرعية القضائية عـــام ١٣٠٠هـــــ-١٨٨٣م وهي تقضي بصفة خاصة في:

١- المسائل الخاصة بأحكام الزواج.

٢- القضايا التي تتعلق بالأبوة والبنوة، والقضايا الخاصة بالميراث وتوزيع الأرضـــي حســـب الشريعة الإسلامية.

وللمحكمة الشرعية أن تأخذ رأي مجلس العلماء في أية مسألة قبل أن تنتهي فيها إلى حكم.

وتحكم المحكمة الشرعية في القضايا التي من النواع الأول بمفردها، ولا تنفرد بالحكم في قضايا النـــوع الثاني.

هذا .. وتذيل أحكام المحاكم الشرعية بعبارة تتضمن أن الحكم سينفذ، غير أن تنفيذ الحكم بالفعل لا يكون إلا بواسطة المحاكم غير الشرعية(٥٢).

ولما جاء الحكم الشيوعي للبلاد: ألغى القضاء الشرعي، وأغلقت كليات الشريعة، والمحاكم الشرعية.

* * *

١٤- مجلس العلماء والفتوى

وهناك "مجلس للعلماء" مكون من أربعة من العلماء، عليهم شخص يسمى بـــ "رئيس العلماء" ومقره في "سراييفو" العاصمة.

ويتمتع "رئيس المجلس" بحقوق خاصة منها تعيين "المراسلات" للقضاة الشـــرعيين، وتعـــيين الأئمـــة والخطباء والإشراف على كلية الشريعة "بسراييفو".

وهناك: مفتٍ لكل مدينة، تعينه الحكومة، بعد ترشيح مجلس العلماء.

وأهم واجبات المفتي: هي إصدار الفتاوى عند الحاجة، وزيارة المساجد وغيرها، ليتأكد أن برنـــامج تعليم الدين الإسلامي كما وضعه مجلس العلماء متبع في المدارس.

ولما تكون الاتحاد "اليوغوسلافي" أصبح منصب رئيس العلماء، ليس خاصاً بالبوسنة والهرسك فقـــط، بل أصبح الذي يشغله: يرأس جميع علماء المسلمين في يوغوسلافيا كلـــها، كمـــا أصـــبح مقـــره: بلجراد(٥٣).

ثم أصبح أخيراً: كإدارة عليا للمسلمين في بلاد البلقان عامة،ومقره "سراييفو"(٥٤).

ولا يزال هذا النظام معمولاً به حتى الآن.

ويلاحظ: أن مجلس العلماء في أصل نشأته، كان لمحاولة فصل المسلمين عن ارتباطهم الديني بشيخ الإسلام في تركيا بعد احتلال النمسا والمجر للبلاد.

* * *

١٥- الآثار الإسلامية في "البوسنة والهرسك"

حسب الإحصائيات التقريبة: فإن الجمهورية تضم عدداً لا بأس به من الآثار التي تعد تحفاً معمارية، شاهدة حتى الآن على روعة وتقدم الحضارة الإسلامية، ومسجلة للعقلية الإسلامية تفوقها ورغبتها في التعمير والبناء وليس التخريب والهدم، كما يدعي أعداء المسلمين.

ففي البوسنة ــ حسب هذه الإحصاءات ــ أكثر من ألف مسجد، وتتوزع هذه الآثار في مدن الجمهورية كلها.

ففي "سراييفو" العاصمة على سبيل المثال:

مائة مسجد تقريباً، وبجوار كل منها: مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم[٥٥].

ومن هذه المساجد والآثار التي تدمر الآن:

١- مسجد الغازي خسروبك الذي شيد عام ٩٣٦هـ ١٥٣٠م، وهو يعد من أجمل مساجد البوسنة، إذْ هو: تحفة معمارية جميلة، حيث تحفل جدرانه الداخلية، والممرات: بزخارف إسلامية جميلة.

وقد اعتاد مرتادوه على ختم القرآن الكريم به يومياً من خلال برنامج منظم تلتزم به مجموعة من الرواد يومياً، وتتغير كل أسبوع.

وقد حافظ أهل "سراييفو" على هذه العادة الطيبة حتى أثناء الحرب العالمية، وكذلك أثناء المعارك الدائرة الآن عام ١٤١٢هـ ١٩٩٢م[٥٦].

٢- مسجد البيك وهو أكبر مساجد البلقان، وواحد من أقدم المساجد في أوربا كلها[٥٧].

٣- مدرسة الغازي خسروبك التي شيدها عام ٩٤٣هـ ١٥٣٧إكراماً لوالدته، والتي أوقف لإنشائها سبعمائة ألف درهم وهي تعد من أقدم المدارس في شبه جزيرة البلقان، وأهم مؤسسة علمية في البوسنة والهرسك، طوال الحكم العثماني، وإلى الآن[٥٨].

٤- كلية الدراسات الإسلامية الملحقة الآن بالمدرسة[٥٩].

٥- مكتبة الغازي خسروبك التي أصبحت مزاراً لرواد العلم، والباحثين حتى يومنا هذا.

والتي تضم في ثناياها مئات المجلدات والمراجع التاريخية والعلمية النادرة، التي تصل إلى ٥٠ ألف وحدة من المجلدات والمخطوطات[٦٠].

٦- حمام الغازي خسروبك قبل سنة ٩٦٤هـ -١٥٥٧م[٦١].

٧- تكية حاجي سنان عام ١٠٥٠هـ-١٦٤٠م[٦٢].

٨- مسجد السلمانية، والبناء الحالي يعود إلى سنة ١٢٣١هـ-١٨١٦م[٦٣].

وهناك في غير "سراييفو" على سبيل المثال:

٩- مسجد "ألآجه" في "فوجه" سنة ٩٥٧هـ-١٥٥٠[٦٤] الذي دمر الآن تماماً.

١٠- مسجد "كاراجور" الشهير، الذي أقيم في القرن الخامس عشر، والذي يدخل ضمن المعالم التاريخية التي تشرف عليها هيئة "اليونسكو"[٦٥] التي تشرف على معظم هذه الآثار.

١١- مزارات إسلامية، وتكايا عديدة، وآثار إسلامية عريقة في منطقة "موستار"[٦٦].

وهذه كلها ـ وغيرها ـ من أروع الآثار في طراز العمارة الإسلامية في البوسنة والهرسك.

وهي بكل أسف تدمر الآن، على أيدي الصرب المجرمين أعداء الإسلام، وعلى مرأى ومسمع من العالم الذي يدعي التحضر والرقي..!!

* * *

١٦- مدى تمسكهم بالإسلام

شعب "البوسنة والهرسك": من أشد الناس تمسكاً بالإسلام، بالرغم مما يتعرضون له من محن وفتن وأعاصير لصرفهم عن هذا الدين.

ومن الشواهد على ذلك:

١- حبهم للقرآن الكريم، وحصرهم الشديد على تحفيظ أولادهم كتاب الله تعالى منذ الصغر.

٢- كثرة تلاوتهم له، ومداومتهم على ذلك حتى خلال الحروب، كما هو المتبع في مسجد "الغازي خسروبك" بسراييفو، والذي يختتم فيه القرآن كاملاً يومياً[٦٧].

٣- بناؤهم للمصانع والدور والحمامات والداكاكين الكثيرة، ثم الوصية بها، أو تركها خلال حياتهم، وفقاً على أعمال البر والصدقات[٦٨].

٤- حبهم لإخوانهم المسلمين في سائر البلاد الإسلامية حباً جما، واعتقادهم أن كل مسلم ـ وإن نأت به البلاد ـ أخ لهم.

وإحساسهم بالرابطة الإسلامية وحدها بينهم وبين جميع المسلمين، إذْ الإسلام ـ كما يرون بحق ـ لا يعرف قومية، ولا عصبية جاهلية[٦٩].

٥- تنسمهم الدائم للأخبار عن أحوال المسلمين، وانتظارهم الملهوف لبريد الإسلام، عساهم يسمعون خبراً جديداً، أو شيئاً مفيداً يشمون منه بارقة أمل في نهوض الإسلام، بعدما أوهت قوائم أهله الليالي، وفتت سواعدهم الأيام[٧٠].

٦- التزامهم بالآداب والعادات والتقاليد الإسلامية بالرغم من بعد الديار بينهم وبين باقي إخوالهم المسلمين[٧١].

٧- محافظتهم على دينهم بالرغم مما يلاقونه من عدو لا يخفي مشاعره، بل يصرح في غير مواربة أنه يقاتل الإسلام، ولا يكتفي بذلك، إنما يقوم بعمليات تنصير الفتيات كرهاً، وإثارة غير المسلمين ضدهم، وسلخ الأوقاف الإسلامية منهم، ومنعهم من بناء المساجد[٧٢].

٨- مساهمتهم في نشر الإسلام قدر طاقتهم .. فهناك — الآن — كلية الدراسات الإسلامية، الملحقة بمدرسة "الغازي خسروبك" في "سراييفو": تقوم بدور كبير في ذلك.

يقول مدير المدرسة "سناهيد برسترتيج": إننا تحملنا واجبنا تجاه إخواننا في أوربا الشرقية بعد سقوط الشيوعية، وأفتتحنا فصلاً خاصاً للطلاب القادمين من "بلغاريا" و"بولندا" وغيرها، على العودة إلى بلادهم، كأئمة ومعلمين[٧٣].

٩- تفتحهم على منابع دراسة الإسلام خارج بلادهم، بعد أن أغلقت في وجوههم وسائل استكمال هذا الجانب الهام.

إذْ ذهبوا إلى "استانبول" في تركيا، فلما ضيق عليهم في ذلك: توجهوا إلى الأزهر الشريف بمصر، والجامعات الإسلامية في السعودية وغيرها.

وما ذلك إلا لحبهم لهذا الدين وتمسكهم به.

* * *

١٧- مدى فهمهم للإسلام

عرفنا أنهم من أهل السنة والجماعة، ويتبعون "المذهب الماتريدي" في الأصول، وكذلك "المذهب الحنفي" في الأحكام والفروع.

وهذا جعلهم يسلمون من الخرافات والأمور الجاهلية ويبتعدون: عن الغلو والتطرف في فهم الإسلام، وعن التعصيب فيه والدعوة له.

فالدين يسر، ومبادئة واضحة وسمحة، لا إكراه فيه، ولا إرغام عليه.

وقد اكتسبوا ذلك:

من فهمهم الجيد الشامل للإسلام.

ومن تاريخهم الذي يفيد: أن الحكم الإسلامي للبلاد أيام الخلافة، قد اعترف بالكنيسة "الصربية الأرثوذكسيسة" بل تمتعت هذه الكنيسة، بموجب براءة سلطة بحقوق، وميزات كبيرة.

وأن السلطان محمد الفاتح: منح الكنيسة الكاثوليكية أيضاً إمتيازات خاصة.

بل يتضح من المعلومات الواردة في سجلات العقارات: أن المؤمنين المخلصين لكنيسة البوسنة قد اعتكفوا في نواح نائية منعزلة في الهرسك، وليس ثمت شاهد مسجل عن قيام أي تحول إلى الإسلام في تلك الأنحاء، ولا حتى السكان في ذلك الوقت بالإكراه[٧٤].

كل ذلك ـــ وغيره ـــ يجعل صحافياً مرموقاً مثل الأستاذ/إبراهيم نافع يؤكد على أن الإسلام السائد في البوسنة والهرسك إسلام حضاري، معتدل، لا تشوبه نزعات التعصب، وضيق الأفق[٧٥].

وما ذلك إلا لأنهم:

كانوا نتاج أفكارهم ومفاهيم حركة "الشبان المسلمين" التي أسسها الشيخ "محمد خانجيج" والشيخ "قاسم دوبراجا" في الأربعينات "خلال الحرب العالمية الثانية، وأوائل فترة الحكم الشيوعي للبلاد" بعد عودتهما من الدراسة بالأزهر، وتعرف على الحركة الإسلامية في مصر.

والتي من أبرز أعضائها: علي عزت بيجوفيتش رئيس الجمهورية، وصاحب "البيان الإسلامي" والتي تعد امتداداً في هذه البلاد: لجماعة "الإخوان المسلمون" كما صرح بذلك "تيتو" لـ "جمال عبد الناصر" في بعض لقاءتهما[٧٦].

ولذلك:

كانوا على مستوى المسئولية في الأحداث والمذابح الدائرة في (١٤١٢/١٤١٣هـ-١٩٩٢م).

حيث ذابت الخلافات وتوقف أو تجمدت الحرب الباردة بين "المشيخات الإسلامية" وبين "الحزب السياسي للمسلمين"[٧٧].

وذلك في بدايات أحداث التغيير.

إذْ أنه كانت قد بدأت حرب باردة بدأت رحاها تدور عقب سقوط الشيوعية هناك.

وكان طرفاها هما: علماء الدين الرسميون، أو رؤساء المشايخ ـــ كما يطلق عليهم ـــ من ناحية. وجيل الشباب، أو أتباع الحركات الإسلامية بمعنى آخر، الذين تم إبتعاثهم للدراسة في العالم الإسلامي، وبخاصة: العربي والذي أثمر احتكاكهم بأقرانهم في هذه البلاد: اعتناقهم لمبادئ وبخاصة: العربي والذين أثمر احتكاكهم بأقرانهم في هذه البلاد: اعتناقهم لمبادئ هذه "الحركات الإسلامية" من ناحية أخرى.

حيث يتهم الشباب علماء الدين بأنهم امتداد للأنظمة الشيوعية التي عينتهم، أو باركت في أحسن الأحوال وجودهم، كما أنهم لا يمثلون النبض الحقيقي للمسلمين هناك.

ويتهم العلماء الشباب ـــ من ناحية ثانية ـــ بأنهم يفتقدون العلم الشرعي الذي يؤهلهم لقيادة المسلمين، وأنهم يمارسون "الإسلام السياسي" سعياً إلى السلطة التي هي في هذه الحالة "المشيخة الإسلامية".

وهذه الخلافات: كانت أمراً طبيعياً ــ كما يقول الشيخ أحمد صالح جولاكوفيتش رئيس المشيخة الإسلامية. واكب النهضة الإسلامية للبلاد، وبعد فترات "الإرهاب" و"التهميش" التي لحقت بالمسلمين.

و لم تذبه هذه الخلافات فقط: بل نشطت المشيخة الإسلامية بدورها في الأحداث، مثلما كان شباب الحركات الإسلامية يقومون.

وأصبح الجميع صفاً واحداً متراصاً، بفضل الله تعالى.

* * *

١٨- خاتمة

هذا شيء قليل من أحوال المسلمين في بلاد "البوسنة والهرسك" بعضه يعتمد على مصادر جديدة وأكثره يعتمد ــ لندرة ذلك ــ على مصادر قديمة.

وقد أوردنا باختصار شديد.

والغرض منه.

١- تعريف المسلمين في نواحي العالم أن في هذه البلاد جماعة من إخوانهم يسرون بسرورهم، ويستائون لما يسوؤهم، ويفخرون أمام جيرانهم بأخوانهم للمسلمين الذين سوف يدافعون عنهم إذا ما تعرضوا للظلم أو عدوان.

٢- التمهيد والتأريخ والبيان لأصول وبواعث الحروب الدائمة ضدهم؛ بغرض اجتثاثهم من هذه البقعة من العالم، لإنهاء الوجود الإسلامي هناك ــ في أوربا ــ بالقضاء عليهم وإنهائهم.

٣- تنبيه المسلمين على أن هؤلاء من الجسد الإسلامي، الذي ينبغي على كل مسلم "إذا اشتكى عضو منه" أن يتداعى له بالنجدة والمسارعة والمشاركة والدفاع.

٤- الدعوى لبذل الجهود ودراسة الوسائل وتسخير الإمكانات للحيلولة دون القضاء عليهم، بل القضاء عليهم، بل دون القضاء على المسلمين في بقاع العالم.

٥- التقديم للحديث عن مسلسل الحروب والمذابح التي تعرضوا ولا يزالون ــ حتى هذه اللحظة ــ لها.

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ٣٧٥/٨. الشرق الأوسط ١٩٩٢/٢/١٨م.

(٢) انظر: لسان العرب مادة: "صقلب"، المختار من الجوهر الأسني ص٣٤، المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص١٢٣.

(٣) أي: شقر الشعور.

(٤) لسان العرب مادة "صقلب".

(٥) انظر: دائرة المعارف الإسلامية ٣٥١/١٨ وما بعدها، والمختار من الجوهر الأسني ص١٢٣.

(٦) انظر: فصل "تاريخ الإسلام في البلقان".

(٧) انظر: دائرة المعارف الإسلامية ٣٨١/٨، ٣٥٨.

(٨) انظر: دائرة المعارف الإسلامية ٣٥٨/٨.

(٩) انظر: دائرة المعارف الإسلامية ٣٨١/٨، ٣٨٢ (بتصرف).

(١٠) انظر: تاريخ الإسلام في شبه جزيرة البلقان من الفصل السابق.

(١١) انظر: المختار من "الجوهر الأسني ص ٤٥ وما بعدها "بتصرف".

(١٢) انظر المختار "مرجع سابق".

(١٣) انظر المختار: ص٤٧.

(١٤) دائرة المعارف الإسلامية ٣٩٨/٨.

(١٥) المختار من الجوهر الأسني ص٤٧، ٤٨.

(١٦) دائرة المعارف الإسلامية ٣٩٨/٨.

(١٧) دائرة المعارف الإسلامية ٣٦٧/٨.

(١٨) انظر: دائرة المعارف الإسلامية ٣٩٨/٨.

(١٩) انظر: دائرة المعارف الإسلامية ٣٩٨/٨.

(٢٠) نشره الأزهر الشريف، ووزع هدية مجانية لقراء مجلة الأزهر عدد ذي الحجة ١٤١٢هـ.
المختار من الجوهر الأسني ص٤٧.

(٢١) المختار من الجوهر الأسني ص٤٧.

(٢٢) المختار من الجوهر الأسني ص٤٨.

(٢٣) المختار من الجوهر الأسني ص٤٨.

(٢٤) المختار من الجوهر الأسني ص٥٤ وما بعدها.

(٢٥) المختار من الجوهر الأسني ص٥٣.

(٢٦) انظر: ٣٩٩/٨ وما بعدها.

(٢٧) انظر: دائرة المعارف الإسلامية ٣٩٦/٨ "باختصار شديد".

(٢٨) دائرة المعارف الإسلامية ٤٠٢/٨.

(٢٩) انظر: دليل كلية أصول الدين جامعة الأزهر بالقاهرة ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

(٣٠) انظر: دائرة المعارف الإسلامية ٣٦٢/٨، المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص١٢٦.

(٣١) المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص١٢٧.

(٣٢) انظر: دائرة المعارف الإسلامية ٣٦٦/٨، ٣٦٧، الشرق الأوسط عدد ١٨/٢/١٩٩٢م.

(٣٣) الشرق الأوسط عدد ١٨/٢/١٩٩٢م.

(٣٤) نفس المصدر.

(٣٥) دائرة المعارف الإسلامية ٣٤٨/٨.

(٣٦) المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص١٢٧.

(٣٧) نفس المصدر السابق.

(٣٨) دائرة المعارف الإسلامية ٣٧٥/٨.

(٣٩) المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص١٣٠.

(٤٠) انظر مجلة: "المجلة" في ٢٠/٥/١٩٩٢م والأهرام ١٠/٦/١٩٩٢م.

(٤١) انظر: "المسلمون" تحت السيطرة الشيوعية ص٢٩.

(٤٢) دائرة المعارف الإسلامية ٣٦٧/٨.

(٤٣) المختار من الجوهر الأسني ص٥١.

(٤٤) انظر: مجلة "العالم" عدد ١٧ من رمضان ١٤١٢هـ - ٢١/٣/١٩٩٢م.

(٤٥) انظر: المجلة عدد ٢٠/٥/١٩٩٢م.

(٤٦) هذه الثلاثة الأخيرة: أخبرني بها خلال المراجعة تلميذي "صفوت مصطفى" البوسنوي.

(٤٧) انظر دائرة المعارف الإسلامية ٤٠٤/٨، المختار من الجوهر الأسني ص٥٢، الشرق الأوسط عدد ١٨/٢/١٩٩٢م.

(٤٨) المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص١٢٦، ١٢٧.

(٤٩) انظر: دائرة المعارف الإسلامية ٣٦٥/٨ وما بعدها باختصار.

(٥٠) المختار من الجوهر الأسني ص٤٩.

(٥١) المختار من الجوهر الأسني ص٥٠.

(٥٢) انظر: المختار من الجوهر الأسني ص٤٩. دائرة المعارف الإسلامية ٣٥٧/٨، ٣٦٧، ٤٠٤ (باختصار شديد، وتصرف يسير).

(٥٣) انظر المختار من الجوهر الأسني ص٤٩. دائرة المعارف الإسلامية ٣٦٤/٨ "باختصار وتصرف".

(٥٤) إبراهيم نافع الأهرام ٢٩/٥/١٩٩٢م.

(٥٥) دائرة المعارف الإسلامية ٣٩٧/٨. الشرق الأوسط ٧/٥/١٩٩٢م.

(٥٦) كما أخبرني الأخ/صفوت مصطفى خليلوفيتش.

(٥٧) الأهرام ٢٩/٥/١٩٩٢م/.

(٥٨) ومنها طلاب كثيرون يدرسون بالأزهر الشريف.

(٥٩) الشرق الأوسط ١٩٩٢/٥/٧م.

(٦٠) دائرة المعارف الإسلامية ٣٩٧/٨، الشرق الأوسط ١٩٩٢/٥/٧م.

(٦١) دائرة المعارف الإسلامية ٣٩٧/٨.

(٦٢) دائرة المعارف الإسلامية ٣٩٧/٨.

(٦٣) دائرة المعارف الإسلامية ٣٩٧/٨.

(٦٤) دائرة المعارف الإسلامية ٣٩٧/٨.

(٦٥) إبراهيم نافع الأهرام ١٩٩٢/٥/٢٩م.

(٦٦) إبراهيم نافع الأهرام ١٩٩٢/٥/٢٩م.

(٦٧) الشرق الأوسط ١٩٩٢/٥/٧م.

(٦٨) دائرة المعارف الإسلامية ٣٨٤/٨.

(٦٩) انظر: المختار من الجوهر الأسني ص٤٥.

(٧٠) انظر: المختار من الجوهر الأسني ص٩.

(٧١) وقد روي لي أحد الأخوة المقيمين في مدينة نيويورك: وهو الأخ منجي كامل القويسني، أنه ذهب في شهر إبريل ١٩٩٢م لأداء واجب عزاء في وفاة أحد الأخوة المسلمين "البوسنويين" في أمريكا، فوجدهم على وعي بالإسلام، وإقبال طيب عليه وفهم جيد له، وتمسك قوي بتعاليمه وأحكامه.

(٧٢) انظر: المختار من الجوهر الأسني ص٩، ١٠.

(٧٣) الشرق الأوسط ١٩٩٢/٥/٧م.

(٧٤) انظر: دائرة المعارف الإسلامية ٣٨٥/٨، والمختار ص٤٥ "بتصرف".

(٧٥) الأهرام ١٩٩٢/٥/٢٩م.

(٧٦) انظر: المساء ١٩٩٢/٦/٦م.

(٧٧) انظر: "الشرق الأوسط" ١٩٩٢/٢/١٩م، مجلة "العالم" ١٩٩٢/٣/٢١م. ص٣٠.

الفصل الرابع

مسلسل مجاز المسلمين في "البوسنة والهرسك"

- صليبية المجازر
- المجازر النمساوية
- المجازر الصربية الأولى
- المجازر الصربية الثانية
- مجازر تيتو الشيوعية
- المجازر الصربية الثالثة

صليبية المجازر

مهما اختلف الباحثون، وتعددت التعليلات، في محاولات اكتشاف السبب الداعي لهذه المجازر المتعددة، على المسلمين في بلاد البلقان ..!!

وبالرغم من تواري السبب الرئيسي لها خلف ما قد يفهم من رغبة الصربيين في إيجاد منفذ لهم على البحر "الأدرياتي" عبر بلاد البوسنة والهرسك ..!!.

وكذلك: بالرغم من إدعاء بعض الباحثين أن خلف هذه الحروب: نزعات عرقية أو خلافها ..!!

فإن الذي تؤكد الدلائل وترشد إليه الشواهد وتثبته الأحداث: أن المسلمين في بلاد البلقان عموماً، وفي يوغوسلافيا خصوصاً، ومنها "البوسنة والهرسك" يعدون شوكة في حلوق أهل البلاد بصفة خاصة وأهل أوربا والغربيين بصفة عامة.

ولذلك: اجتمعت عليهم الأحقاد، ونزلت بهم البلايا، ودبرت لهم المكائد، وفتحت لهم السلخانات عبر التاريخ الطويل من هؤلاء وهؤلاء، وبالرغم مما بين هؤلاء ـ الأعداء ـ وهؤلاء من عداوات وخلافات: فإنهم اجتمعوا على اضطهاد المسلمين وإيذائهم وتصفية وجودهم بهذه الديار، في مسلسل من المجازر الصليبية.

وكل ذلك: خوفاً من ظهور جمهورية إسلامية أصولية في أوربا، كما صرحت "الصنداي تليغراف"[(١)]..

١- وهذا الخوف كان يدفعهم إلى: إرضاع أطفالهم البغض للإسلام وللمسلمين، ويبث فيهم عقيدة ذبح المسلمين.

إذْ تدرس في المدارس الصربية الابتدائية ملحمة شعرية، باسم "إكليل الجبل" كتبها أرثوذكسي متعصّب، تقول[(٢)].

سلك المسلمون طريق الشيطان.

دنسوا الأرض.

ملؤوها رجساً.

فلتعد للأرض خصوبتها.

ولنطهرها من تلك الأوساخ.

ولنبصق على القرآن.

وليطر رأس كل من يؤمن بدين الكلاب ويتبع محمداً.

فليذهب غير مأسوف عليه.

٢- بل إن الكنائس الأرثوذكسية الصربية أوحت إلى شباب الصرب بأن عملية ذبح المسلم إذا تمت مقرونة بشرب النبيذ، تعد أمراً يجلب مرضاة الرب، "وحقا: لا تسأل عن أي رب هذا الذي يبارك قتل الأبرياء".

وتتبنى كلية "اللاهوت المسيحي" في صربيا هذا المنطق وتدرسه لمن سيكونون قساوسة ورهباناً في المستقبل[٣].

٣- كما أصدرت هذه الكنائس فتوى تبيح أعراض المسلمات لكل من يدين بالديانة المسيحية الأرثوذكسية.

وقد أرسلت المليشيات الصربية بعض هؤلاء النسوة من معسكر السبايا المسلمات ــ حيث يقام معسكر لهن في كل منطقة تسيطر عليها هذه الميلشيات إلى مناطق المسلمين، وهن يعانين من الأفعال الوحشية الناجمة: عن هذه الفتوى، ومنها: تقطيع أثدائهن[٤].

٤- والأغرب من ذلك أن برلمان صربيا يُشرّع ويقنن ذبح المسلمين.

يقول الدكتور "سليمان أوغيليانين":

إن البرنامج القومي الصربي الذي تم إعلانه عام ١٢٦٠هـ-١٨٤٤م تجدد أخيراً في برلمان صربيا.

حيث صدر مرسوم يدعو إلى تطهير "سنجاق" و"كوسوفو" والبوسنة والهرسك من المسلمين.

ولذلك فإن الإدعاء بأن المعارك التي تدور في البوسنة والهرسك، هي معارك بين طوائف: إدعاء غير صحيح، لأن الهجمات الصربية الوحشية، تجد لها سنداً قانونياً يدفعها من الهيئة التشريعية لصربيا[٥].

٥- ويصرح زعماء الصرب ــ دون مواربة أو خجل ــ بهذه الأحقاد، في دعوة لممارستها، بمناسبة ومن غير مناسبة.

فهذا زعيم حزب التجديد الصربي يصرح في ١٩٩٠/٩/٩م قائلاً لأهل "سنجق" وهو إقليم تابع لصربيا "أما أنتم أيها المسلمون: فسوف نمهد لكم الطريق للرحيل إلى: مكة، والمدينة المنورة، وإيران، وتركيا، إذْ لا يمكن لكم أن تعيشوا هنا: فهذه ليست أرضاً إسلامية"[٦].

١- التركيز ــ في الحروب ــ على نزع الهوية الإسلامية: إذْ إن نظرة مدققة على القائمة الأولى للمناطق والآثار الإسلامية، التي تم تدميرها في الحرب الدائرة عام ١٤١٢هـ-١٩٩٢م ــ كما رواها: محرم عمر رئيس الإدارة الدينية العليا للمسلمين في شبه جزيرة البلقان ــ والتي نشرها الأهرام بعدد ١٩٩٢/٥/٢٩م: تكشف ــ كما يقول إبراهيم نافع بحق ــ عن أنها قد اختيرت بعناية، فهي تمس المواريث الرمزية والتاريخية الإسلامية هناك.

فحرب الإبادة: تريد تجريد الذاكرة الجماعية لشعب "البوسنة والهرسك" من رموز الهوية والإنجاز الحضاري، الذي نشأ من الفكر والعقيدة الإسلامية.

بل ما هي: إلا حملة شرسة بالحديد والنار لطمس الوجود الإسلامي في شبه جزيرة البلقان كلها[٧].

٢- انتهاز الفرص لممارسة التنصير في مسلمي هذه البلاد.

وقد مارست السلطات ذلك مع المسلمين أيام الأحداث الدامية التي وقعت لهم ونفذت فيهم أيام الحرب العالمية الثانية: حيث كانوا يجبرون على التنصير

وإلا فالطرد خارج البلاد، أو الاعتقال والتعذيب الوحشي، ثم التصفية الجسدية[٨].

وقد ظلت الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية طوال الأربعين سنة الماضية تركز جهودها على تنصير المسلمين من سكان البوسنة وسنجاق وكوسوفو ومقدونيا.

وذلك بدعم من الأغلبية الصربية في الحزب الشيوعي.

وكان ذلك في فترة الهدنة التي صنعها "تيتو" بين الكنائس الشرقية والغربية.

ولذلك: لما انفرط عقد الشيوعية: عاد الاقتتال بين الأرثوذكس وبين الكاثوليك في يوغوسلافيا مرة أخرى[٩].

وقد عادت هذه الكنائس إلى ممارسة "التنصير" خلال مذابح ١٩٩٢م، تحت التهديد والإكراه[١٠].

٣- ولم تشهد المنطقة مذابح صليبية بهذا الشكل، ولا بهذه الاستمرارية، عبر العصور المختلفة، حتى يومنا هذا إلا ضد المسلمين فقط.

كما تصورها بعض الصفحات التالية، التي سوف نتحدث عن مذابح المسلمين فيها من خلال تقسيم تاريخ هذه البلاد إلى العصور السبعة الفائتة[١١].

حسب ما يلي:

في المرحلة الأولى: وهي التي عاشتها البلاد قبل الحكم الإسلامي.

فقد شهدت نزاعات بين المسلمين البشانقة وبين الصرب تارة.

كما شهدت نزاعات ـــ كذلك ـــ بينهم وبين الكروات تارة أخرى.

ومن جهة ـــ ثالثة، كما سبق ذكره ـــ فإن الحقد ضدهم حرك حكام المجر لغزوهم[١٢].

ومع ذلك: فإن المراجع التي بين أيدينا لا تعطينا تفاصيل لهذه النزاعات وما إذا كان قد تم فيها مذابح للمسلمين ـــ في هذه المرحلة ـــ من عدم ذلك.

المرحلة الثانية: وهي التي عاشتها البلاد تحت حكم الدولة العثمانية (الحكم الإسلامي).

والتي امتدت إلى أكثر من أربعة قرون وتعتبر هذه الفترة من أزهى عصور المسلمين في هذه البلاد، والتي تمتعوا فيها بدينهم، وأقبلوا فيها عليه وعلى تعاليمه والالتزام به دون خوف من طغاة أو حاقدين.

ولكنها: كانت منبت الخوف من الإسلام والحقد على أهله، وإضمار العداء لهم، والتربص بهم، وانتهاز الفرص للانقضاض عليهم.

وكانت المحاولات كذلك ـــ كما يذكر التاريخ ـــ متكررة، ولكنها فاشلة.

حتى ضعفت الدولة العثمانية، وجاءت المرحلة التالية.

* * *

المجازر النمساوية

وذلك في المرحلة الثالثة: وهي التي عاشتها البلاد تحت حكـــم النمســـا والمجـــر (مـــن ١٨٧٨م إلى ١٩١٨م).

والتي استمرت: أربعون عاماً تقريباً.

وفي هذه الفترة: تعرض المسلمون لمحن كثيرة،ومذابح فظيعة.

أبرزها مذبحتان.

المذبحة الأولى: عند دخول قوات الاحتلال.

إذ قد لقيت الجيوش النمساوية والمجرية التي أرسلت لاحتلال "البوسنة والهرسك" مقاومة شديدة مـــن المسلمين لم تكن في الحسبان.

ولهذا ــ وللحقد السابق عليهم ــ فقد اتخذت قوات الاحتلال إجراءات صارمة لتحطيم هذه المقاومة في بعض النواحي، وبخاصة حول مدينة "سراييفو" وفي داخلها[١٣].

ومن هذه الإجراءات:

التشريد والطرد من البلاد.

الاضطهاد ومحاولات التنصير الإجباري.

ونتيجة لذلك:

هاجر كثير من المسلمين إلى الأناضول في تركيا، وبعض البلاد الإسلامية الأخرى: حماية لدينه (٣٠٠ ألف مسلم).

وبقى البعض في البلاد: مختفياً عن العيون بدينه.

كما ثار الكثيرون من المسلمين في عام ١٣١٨هــ-١٩٠٠م بزعامة رئيسهم علي فهمي جـــاويتش، للحصول على الحكم الذاتي في الأمور الدينية.

وقد نجحوا في ذلك: بعد جهاد دام ٩ سنوات[١٤].

وفي ٥/١٠/١٩٠٨م: أعلن ضم "البوسنة والهرسك" إلى النمسا والمجر.

ووافقت على ذلك: الدول الأوربية[١٥].

بل قل: باركت ذلك وسعدت به الدول الأوربية ..!!

المذبحة الثانية: خلال حروب البلقان (١٩١٢-١٩١٣م).

وهي حربان قصيرتان: تهدفان لامتلاك الأراضي الأوربية في الدولة العثمانية.

في الأولى: تحالفت صربيا وبلغاريا واليونان والجبل الأسود .. ضد تركيا.

ونجحت في الاستيلاء على الأراضي التركية بأوربا، ومنها بالطبع، بلاد "البوسنة والهرسك".

وعملت الدول الكبرى على استقرار الوضع في المنطقة ـــ مما أغضب صربيا التي فقدت منفذها على البحر "الإدرياتي" ـــ بإنشاء دولة "ألبانيا" المستقلة.

مما كان سبباً في إشعال نيران الحرب القصيرة الثانية[١٦].

وفي هذه الحرب: تعرض المسلمون في "البوسنة والهرسك"، لمذبحة على أيـدي مليشـيات الصـرب "تشكنيك" راح ضحيتها ٦٠٠ من المسلمين[١٧].

* * *

المجازر الصربية الأولى بعد الحرب العالمية الأولى

وذلك في المرحلة الرابعة: وهي التي عاشتها البلاد تحت حكم صربيا (١٩١٨-١٩٤١م) بعد نهاية الحرب العالمية الأولى.

والتي استمرت: ثلاثة وعشرين عاماً.

والتي أعلنت فيها البلاد "مملكة الصربيين، والكرواتيين، والسلوفينيين"

ثم أعلنت بعد ذلك باسم "يوغوسلافيا" بجمهورياتها "الست".

وخلال هذه الفترة من حكم الصرب للبوسنة والهرسك عقب هذه الحرب:

غدر بهم الأرثوذكس[١٨]، حدثت مجازر ومذابح للمسلمين رهيبة.

١- فقد نقل عن الشيخ "جمال الدين تشاوشيفتشي" الذي كان رئيساً للعلمـاء المسـلمين في يوغوسلافيا: أنه تم خلال السنة الأول من هذا الحكم.

أ- إحراق وتدمير ونهب ٢٧ قرية للمسلمين.

ب- قتل الآلاف منهم.

٢- كما نشرت صحيفة "بوربا" اليوغوسلافية عام ١٩٨٩م كتاباً مـثيراً، يتحـدث بالوثـائق والبيانات الدقيقة عن المجازر الدموية التي ارتكبت ضد المسلمين في البوسنة أبان تلك الحقبة.

وفضلاً عن الألوف الذين راحوا ضحية هذه المجازر، فإنها أدت إلى نزوح ٣٠٠ ألـف مسـلم مـن البوسنة والهرسك وحدها إلى خارج البلاد[١٩]. ونتيجة ذلك هبطت نسبة المسلمين ـــ خلال هـذه الفترة ـــ من ٣٨,٧% من السكان إلى ٣٠,٩%[٢٠].

٣- ويقول الشيخ حمدي يوسف إمام مسجد "بلجراد"، إن القيادة الملكية الصربية خلال هـذه الفترة، والقيادة الكرواتية، لم تتفقا أبداً إلا في نقطة واحدة، ألا وهي تصفية المسلمين.

ويقول: لا يزال التاريخ يذكر، كيف كان الكروات يهاجمون القرى الصربية، ويقومون بحرقها، وذبح أهلها، والتمثيل بجثثهم، وكانوا يرتدون وهم يفعلون ذلك الملابس التركية، ويتنادون فيما بينهم بأسماء إسلامية؛ حتى تنسب الفعلة إلى المسلمين، ويثأر الصرب منهم[٢١].

٤- كما كان هناك ــ خلال هذه الفترة ــ حد في سياسة التعامل مع المسلمين، لم يشذ عنـها أحد الذين تداولوا الحكم، والذين كانوا يهدفون جميعاً إلى تصفية وجود المسلمين نهائيـاً في المنقطة، فربما تغلق المساجد والمدارس والتكايا وكتاتيب تحفيظ القرآن، وربما تهدم، أو تحول إلى متاحف، أو مخازن للخمور، أو حظائر للخنازير.

وقد تميزت هذه السياسات المعادية للمسلمين بأنها سارت في خطين:

أحدهما سلمي: عبر منعهم من ارتقاء الوظائف الحساسة في إدارة الدولة والجيش والقطاع الاقتصادي والتعليمي، والتضييق على أبنائهم في دخول المدارس والالتحاق بالجامعات.

والثاني: التصفية الجسدية، والعمل على افقارهم، وإضعافهم، فيموتون جوعاً، أو يضطرون إلى الهجرة من تلقاء أنفسهم.

ويصور الخط الثاني الذي يكشف الروح الشيطانية، والرغبة العدائية ضد المسلمين، عند الـذين مـا كانوا يتحملون العمل بنصيحة "استويان بروينشـي"، مـا يـذكره العـالم الكـرواتي المشـهور "برانكوهورفات" في كتابه "مسألة كوسوفو، حيث أورد أن ملك "يوغوسلافيا" في الفترة ما بـين الحربين ــ "كرال بيتر" مر في طريقة من "كوسوفو" إلى "مقدونيا" بحشد من المسلمين، تحت رقابـة الجنود الصربيين، فسأل: من هؤلاء ..؟ فقالوا: هم مسلمون، فرد قائلاً: فرد قائلاً: إن هؤلاء لا فائدة منهم.

ويصور الخط الأول: ما يذكره "محمد فيليبو فيتشي" رئيس منظمة حقوق الإنسـان في جمهوريـة "البوسنة والهرسك" خلال حديث مطول له أدلى به إلى صحيفة "بوربا" اليوغوسلافية، نشر في مـايو ١٩٩٠م.

إذ يقول: إنه بدءاً من العام ١٩٢١م تم سلب المسلمين في البوسنة والهرسك الأراضي الزراعية الـتي كانوا يفلحونها منذ مئات السنين؛ حيث عملت السلطات يومها بنصيحة "ستويان بروتينشي" وهي: لا تقتلوا المسلمين، ولا تطردوهم، ولكن يجب أن يبادوا جميعاً من دون أن نخسـر علـيهم تكلفـة الذخيرة والرصاص .. اقتلوهم بالخشب على حافة الطرقات ونفذت أوامره على الفور[٢٢].

كما يصور ذلك الخط ــ كذلك ــ جيداً: حادثة "فوجا" الشهيرة[٢٣].

* * *

المجازر الصربية الثانية خلال الحرب العالمية الأولى

وذلك في المرحلة الخامسة: وهي التي عاشتها البلاد تحت الحكم النازي الألماني.

وذلك: خلال الحرب العالمية الأولى.

والتي استمرت: أربع سنوات فقط.

إذْ أنه في ربيع الأول ١٣٦٠هـ إبريل ١٩٤١م: قامت القوات الألمانية، الهنغارية، والإيطالية، والبلغارية بغزو "يوغوسلافيا".

وحدثت الحرب الأهلية بين القوات اليوغوسلافية، وضع الصرب فيها هدفاً ورفعوا شعاراً، هو "تطهير الأرض من جميع الجنسيات، الكروات لكرواتيا، والمسلمون إلى تركيا وألبانيا".

وارتكب الصرب خلال الحرب الأهلية ـ من أجل تحقيق هدفهم: المجازر البشعة ضد المسلمين[٢٤].

ومن ذلك على سبيل المثال:

حادثة "فوجا" الشهيرة.

ففي سبتمبر ١٩٤١م- وفي أثناء الحرب العالمية الثانية، وحين كان الرجال في الحرب ـ قامت المليشيات الصربية بجمع ٩ آلاف من النساء والأطفال والشيوخ من بعض قرى ومدن متجاورة، ثم حشدوهم في سهل "فوجا" وأطلقوا عليهم جميعاً النار فجأة، فقتلوا جميعاً، ثم ألقي بهم في نهر "درينا".

وفي شهر ديسمبر ـ من نفس العام ـ كرروا المذبحة مرة أخرى، مع ما يقرب من ١٣٠ ألف مسلم، حيث كانت درجة الحرارة عشرين درجة مئوية تحت السفر، ومارسووا معهم أشد أنواع العنف والتعذيب، حيث كانوا يفتكون بالأطفال ثم يلقونهم في النهر الذي تحول إلى مقبرة مثلجة مغمورة بدماء المسلمين الأبرياء.

ويصف هذه المجازر "عادل ذو الفقار الذي كان القائد الخامس في الحزب الشيوعي اليوغوسلافي قائلاً: عندما وصلنا إلى "ميلفينا" فوجئنا بمشهد رهيب وصاعق، فقد كان علينا أن نعبر أحد الأنهار، لكننا وجدنا: بمحازاته، وعلى امتداده، تلالاً لجثث النساء والرجال والأطفال، الذين ذبحوا، وتكوموا فوق بعض، ولم يكن يفصل بين هذه الجثث سوى قطع الجليد التي تراكمت حتى ملأت الفراغات الصغيرة بين تلك الجثث، وبرزت الأرجل المقطعة، والأيدي والأشلاء الممزقة وسط قشرة الجليد الأبيض، كانت الأجساد المنتفخة هنا وهناك، والطيور منهمكة في غنيمتها والرائحة الكريهة تملأ الجو[٢٥].

وقال أحد الشهود: إنه عندما امتلأ النهر عن آخره بالجثث وصار يلفظها، فإن العصابات الصربية لجات إلى فتح بطونها حتى تغرق تماماً في القاع.

ومن الجدير بالذكر، أنه قد أقيمت على هؤلاء الضحايا صلاة الغائب لأول مرة عام ١٩٩٠م في احتفال مهيب، حضره الآلاف من المسلمين.

والغريب: أنه هؤلاء المشاركين في صلاة الغائب من المسلمين، قد تعرضوا على طول الطريق الموصل إلى هذه المنطقة التي وقعت فيها المذبحة إلى اعتداءات الأهالي الصرب الذين كانوا ينشدون أغانيهم القديمة "تعالوا نذبح أولاد الأتراك"[٢٦].

* * *

مجازر تيتو الشيوعية

وذلك في المرحلة السادسة: وهي التي عاشتها البلاد تحت الحكم الشيوعي (من ١٩٤٥-١٩٩١م).

وهي التي استمرت: ٤٥ عاماً.

وهي التي أصبح فيها "تيتو" رئيساً لوزراء يوغوسلافيا من ١٩٤٥م، ثم رئيساً للجمهورية في ١٩٥٣م، حتى ١٩٦٣م، ثم صار رئيساً مدى الحياة(٢٧). إلى أن هلك في ١٩٨٠م.

وتولى الحكم خلفاؤه من الشيوعيين.

وخلال فترة حكمه:

حدثت المذابح العديدة، ثم استمرت من بعده إلى اليوم.

وقد صنع "تيتو": وفاقاً بين الأرثوذكس وبين الكاثوليك، هدأت به البلاد،وسكنت الحرب الأهلية(٢٨)....

ونفذ تيتو للمسلمين الذين سبق أن قرروا التعاون معه خلال مقاومته للنازي الألماني، وعده برد حقوقهم ومكانتهم المدنية والدينية، التي فقدوها منذ الحكم الإسلامي للبلاد(٢٩)، في أول عهده.

واعترف القانون "اليوغوسلافي" بحرية الأديان.

وقام المسلمون: بتأدية شعائرهم بحرية(٣٠).

وقد حافظ تيتو على سياسة الوفاق بين الأرثوذكس والكاثوليك طيلة حياته.

ولكنه لم يحافظ على وعده للمسلمين الذين ساعدوه وساعدوا حزبه الشيوعي ضد النازي!.

إذْ نكث وعده، ونقض عهده وفعل الأفاعيل في المسلمين في يوغوسلافيا عموماً، وفي "البوسنة والهرسك" خصوصاً.

فقد طبق الأحكام العرفية، وقوانين الطوارئ ـــ في أعقاب اختياره رئيساً للبلاد مدى الحياة ـــ على البوسنة والهرسك.

وأصدر عدة قرارات تمس جوهر الدين الإسلامي عندما:

حرم المسلمين من دخول المساجد.

ومنع تدريس مادة الدين الإسلامي.

وملأ كتب التاريخ بالعديد من المغالطات حول الإسلام.

وشوه الآيات القرآنية.

وقتل العلماء.

ومنع النساء المسلمات من ارتداء الحجاب.

وفرض عليهن التبرج.

وإذا اعترض المسلمون على شيء من هذا، يكون مصيرهم: الإعدام، أو السجن لعشرات السنين، أو الدفن أحياء في مقابر جماعية[٣١].

كما كان يرغم المسلمين على السير ووجوههم في الأرض، إمعاناً في إذلالهم.

وقد تعرض المسلمون في "الاتحاد اليوغوسلافي" سابقاً، بصفة عامة، في العهد الشيوعي: لمذابح كثيرة، ولتهديم مساجدهم، ومدارسهم الدينية، ومؤسساقم، وسادت موجة عنيفة ضد "الدين" عامة، وضد المسلمين بشكل خاص.

حيث أبيد ٢٤ ألف مسلم بعد الحرب مباشرة، ١٥ ألفاً من منطقة "توزلا" شرق البوسنة، و٣ آلاف في مدينة "سراييفو" و٦ آلاف من "مقدونيا" و"كوسوفو".

كما هدم مسجد مدينة "زغرب" عاصمة "كرواتيا" وقتل مفتي المقاطعة "الشيخ عصمت مفتيتس" والعالم "الشيخ مصطفى يوصولاجيتش".

وأغلق "الكلية الإسلامية العليا للتربية الإسلامية" في "سراييفو"، وجميع المدارس الدينية، باستثناء واحدة فقط، أبقوا عليها للدعاية فقط.

وحكم على ١٢ عالماً بالأشغال الشاقة، منهم: الشيخ "قاسم دوبراجا" شيخ علماء "البوسنة والهرسك" والشيخ "عبد الله دوربسيوفيتش".

وحكمت محكمة "سكوبيا" في "مقدونيا" على سبعة عشر زعيماً "ألبانياً" من الألبانيين الذين يقيمون في "يوغوسلافيا" بالإعدام.

وبعد عام: حكمت على ثلاثة من المسلمين كذلك بالإعدام، وعلى ٢٤ منهم بالأشغال الشاقة.

وكذلك في سراييفو أعدم أربعة من زعماء جمعية الشبان المسلمين، وحكم على ٩ آخرين بالأشغال الشاقة.

وصدر قرار: بإلغاء المحاكم الشرعية في يوغوسلافيا.

وهدمت كذلك: مساجد "بلجراد" المائتين، ولم يبق منها سوى واحد فقط، هدمت مئذنته.

هذا: وكانت هذه الأحكام تنفذ قبل انعقاد المحكمة بمدد قد تطول كثيراً بعد هذا التنفيذ[٣٢].

في الوقت لاذي كان تيتو يعامل فيه الأقلية اليهودية في بلاده: معاملة فوق الوصف، رغم أنه كان ينتقد اسرائيل في بيانات نارية من "راديو" بلجراد، ليستفيد ــ حسب اتفاقه مع الصهاينة ــ تجارياً من العرب[٣٣] (البلهاء!).

"وقد سأل بعض زعماء المسلمين "تيتو" .. هل صحيح أنك تسوم المسلمين سوء العذاب ..؟ فرد "تيتو" بيقين: ليس في "يوغوسلافيا" مسلمون يا صديقي، إنهم عندنا لا يمثلون "قومية"، وأنت تتفق معي في أن "الدين" لا يمكن أن يكون قومية قائمة بذاتها .. والمسلمون الموجودون لدينا: كانوا صرباً أيام مملكة صربيا الكبرى، وتحول للإسلام أيام الغزو العثماني(!!) ثم عاد منهم عدد إلى المسيحية مرة

أخرى، وكما ترى يا صديقي لا يمكن إعطاء المسلمين الحكم الذاتي الذي يطالبون به رغم أنهم يمثلون ٤٤% من عدد السكان(٣٤).

وفي هذا الوقت كانت معاملته للمسلمين: محل انتقاد، وتقريع الصحافة الأجنبية.

ولكنه لم يأبه لذلك، لأنه كان يتصرف معهم لإحساسه بخطورتهم حسب ما يوضحه ــ على سبيل المثال ــ موقفه من كتاب "البيان الإسلامي" وإجابته للسائل بخصوص "الإفراج عن مؤلفه".

ذلك أن على عزت بيجوفيتش ــ الرئيس الحالي للبوسنة والهرسك ــ كان قد ألف كتاباً في عام ١٩٧٠م، وقد اعتبر "تيتو" وحكومته الشيوعية، هذا الكتاب خطراً يهدد أوربا الشيوعية، لأنه في رأيه: ميثاق عمل إسلامي يضم المسلمين من "أندونسيا" حتى "المغرب" في اتحاد وثيق متكاتف.

وفور ظهور الكتاب: اعتقلوا صاحبه، وألقوه في غياهب السجون.

وخلال إحدى زيارات "تيتو" المتكررة لمصر: طلب الشيخ الباقوري ــ وزير الأوقاف آنذاك ــ من الرئيس جمال عبد الناصر، أن يفاتح "تيتو" في الإفراج عن الزعيم المسلم الذي أودع المعتقل ويجرى تعذيبه في بلجراد.

وعندما استفسر جمال من صديقه "تيتو" عن هذا الموضوع؛ أجابه قائلاً: إن هذا الرجل أخطر من تنظيم "الإخوان المسلمين" عندكم في مصر، وهو يطالب بأن تتولى الحركة الإسلامية السلطة في أي بلد تكون لها فيه الأكثرية العددية، كما أن هذا الرجل يرفض كل ما هو غير إسلامي في مجتمع المسلمين.

ثم توقف "تيتو" قليلاً، وسأل عبد الناصر لماذا تتوسط له، وأنت تتخذ نفس الموقف منهم في مصر؟

وسكت عبد الناصر لقوة الحجة والمنطق التي تحدث بها تيتو(٣٥) ..!!

* * *

المجازر الصليبية الثالثة

في عهد "سلوبودان ميلوسيفتش"

وذلك في المرحلة السابعة: وهي التي سقط فيها النظام الشيوعي، ويتربع على حكم ما بقى من "الاتحاد السوفيتي" القديم، جزار الصرب "سلوبودان ميلوسيفتش".

وهي التي حدثت فيها المجازر الرهيبة، وفق المقدمات التالية وعلى ما سنبينها بشيء من التفصيل في الفصل الآتي بعد.

١- ما إن بدأ النظام الشيوعي يترنح عام ١٩٨٩، حتى انهار تماماً في ٢٤ أغسطس ١٩٩١م ...!!

٢- وخلال هذه الفترة: انهار النظام الشيوعي في أوربا الشرقية، وأخذ التفكك بين جمهوريات "يوغوسلافيا" الست والتي توحدت بالحديد والنار: يأخذ مجراه الطبيعي، في استقلال هذه الجمهوريات عن "الاتحاد اليوغسلافي".

وذلك: بدعم أوربي أمريكي.

٣- وكان الذي بدأ ذلك: أن جمهورية "سولوفينيا" وجمهورية "كرواتيا" عندما أعلنتا استقلالهما عن "يوغوسلافيا" في يونيو ١٩٩١م.

ولكن هذا الأمر لم يكن ليرضي الصرب الذي يطمعون في وراثة "الاتحاد اليوغوسلافي" بعد سقوط النظام الشيوعي، ويحلمون بإعادة "صربيا الكبرى".

خاصة أنهم يسيطرون سيطرة قوية على الجيش الاتحادي اليوغوسلافي، كما تؤيدهم في ذلك وتنضم إليهم جمهورية "الجبل الأسود".

٤- وخلال فترة انهيار النظام الشيوعي كذلك وبدء ظهور الحريات:

أقدم علي عزت بيجوفيتش، على تشكيل أول حزب رسمي إسلامي في يوغوسلافيا، وأسماه "حزب العمل الديمقراطي" وخاض بحزبه الوليد أول انتخابات حرة تجرى في التاريخ اليوغوسلافي الحديث، وفاز، وأصبح رئيساً للجمهورية.

٥- وفي ١٩٩٢/٣/١م أعلنت جمهورية "البوسنة والهرسك" الاستقلال ــ كذلك ــ عندما صوت المسلمون ونسبتهم ٤٥% وأيدهم الكروات ونسبتهم ١٧% على الاستقلال، وامتنع الصرب عن التصويت[٣٦].

٦- فماذا كان موقف حكومة الصرب من استقلال "سلوفينيا" و"كرواتيا" ..؟

وماذا كان موقف حكومة الصرب كذلك من "حزب العمل الإسلامي" وقيادته ..؟

وماذا كان ــ ثالثاً ــ موقف حكومة الصرب من استقلال "جمهورية البوسنة والهرسك" ..؟

٧- رفض الصرب استقلال "سلوفينيا" و"كرواتيا" عن "الاتحاد اليوغوسلافي".

وبدأوا الهجوم على الكرواتيين والسلوفينيين.

٨- ولأن هاتين الجمهوريتين: شبه أوربيتين. يشتركان في كثير من الصفات مع دول أوربا المتقدمة، وإحداهما "سلوفينيا" تستأثر بــ ٢٥% من إجمالي الناتج القومي للاتحاد اليوغوسلافي رغم أن عدد سكانها مليوني نسمة فقط ولا تمثل سوى ٨% من مساحة الاتحاد[٣٧] ..!!

ولأن كرواتيا: "كاثوليك"، وأوربا والولايات المتحدة كاثوليك ..!!

فقد قامت الدنيا و لم تقعد.

فاعترفت الدول الأوربية والولايات المتحدة بهاتين الجمهوريتين.

كما أعلنت غضبها العارم ضد الصرب وما يفعلونه.

ورفعت رايات "الشرعية الدولية"، حينما أرسلت "الأمم المتحدة المبعوثين، والمعاونات لهاتين الجمهوريتين.

كما أرسلت ـــ تحت شعار الشرعية الدولية ـــ قوات لحفظ السلام بلغت أعدادها ١٤ ألف جندي من التابعين للأمم المتحدة.

وقام الباب يوحنا الثاني "بابا الفاتيكان" الكاثوليكي بشجب الهجوم الصربي الأرثوذكسي على كرواتيا، بل انتقل بنفسه إلى قرب المعارك الدائرة بين الصرب الأرثوذكس والكروات الكاثوليك، حينما ذهب إلى المجر، التي تبعد ٣٠ كم فقط عن كرواتيا، وذلك لوقف الحرب.

وبهذه وغيره: وقفت الحرب، ونالت "سولوفينا" و"كرواتيا" استقلالهما.

٩- أما بالنسبة "لحزب العمل الديمقراطي" حزب المسلمين الذي أصبح يحكم جمهورية البوسنة والهرسك تحت قيادة زعيمه علي عزت ميجوفيتش القائد والمجاهد المسلم.

فقط أعلنت الأقلية الصربية بالجمهورية أنه من المستحيل أن يحكمهم مسلمون.

وأعلن "سلوبودان" في رفضه لقيادة الحزب الإسلامي: أن النظام العالمي الجديد، يجعل الناس سادة وعبيداً في كل مكان، ومن حقنا أن نأخذ من هذا النظام ما يتناسب مع ظروفنا[٣٨]. ويعني ذلك أنه ينبغي أن يظل المسلمون عبيداً لهم، وليس لهم الحق في أني كونوا ـــ في ظل النظام العالمي الجديد ـــ سادة.

كما أعلنت الأقلية الصربية ـــ بتدبير من الحكومة الصربية ـــ مرة أخرى: أن المسلمين لن يحكموا شبراً واحداً في أوربا، وأن هناك اتفاقاً أوربياً عاماً على ذلك.

وقامت بتدبير وإعداد وترتيب رجال جيوش الحكومة الصربية لإشعال الحرب الأهلية في "جمهورية البوسنة والهرسك الإسلامية".

وبدأ المذابح ضد المسلمين في أبشع سلخانة يشهدها التاريخ منذ الحرب العالمية.

١٠- وسارع جزار الصرب "سلوبودان" لينصر رعاياه، وليحمي المخاوف الأوربية والأمريكية من ظهور جمهورية إسلامية أصولية ـــ حسب تعبير "الصنداي تليغراف" ـــ في أوربا: فأعلن رفضه لاستقلال "جمهورية البوسنة والهرسك" بل أعلن قيام "جمهورية البوسنة الصربية".

ولما بدأت ردود الفعل تستنكر ـــ فقط ـــ ما أقدم عليه: صرح في تلفزيون "بلجراد" يوم ١٩٩٢/٥/٢٨، قائلاً [٣٩].

"نحن لا نهتم بأية عقوبات ضدنا".

من كانوا أصدقاءنا: سيظلون كذلك.

لن تؤثر عقوبات مجلس الأمن علينا.

لدينا حدود مع ٧ دول أوربية: كلهم أصدقاؤنا.

النظام العالمي الجديد: لن يسمح بجمهورية إسلامية، وإلا كان قد سمح بها في: الجزائر، أو إيران، أو أفغانستان.

ما يحدث للمسلمين في البوسنة هم المسئولون عنه!!

عليهم أن يدركوا أن العالم لم يتخلص من الشيوعية ليسمح بظهور الإسلام !!

١١- وتحت هذا المفهوم: بدأت المجازر "سلوبودان" جزار الصرب للمسلمين، على النحو الذي نتعرض لبعض جوانبه في الفصل التالي.

* * *

---

(١) رسالة المهندس ص٢٢ "نشرة غير دورية" عدد ذو القعدة ١٤١٢ — مايو ١٩٩٢م.

(٢) انظر: المسلمون عدد ١٤١٢/١١/٦هـ-١٩٩٢/٥/٨م.

(٣) فهمي هويد المجلة في ١٩٩٢/٥/٢٧م ص٤٥ العدد ٦٤٢.

(٤) المسلمون العدد (٣٧٩) ١٤١٢/١١/٦هـ-١٩٩٢/٥/٨م.

(٥) المسلمون .. العدد (٣٧٩) ولعل في ذلك الكفاية للرد على ما يذهب إليه السفير محمود قاسم ـــ وأمثالة ـــ من أنها حرب طوائف ونزعات عرقية (انظر: أكتوبر ١٩٩٢/٦/٧م).

(٦) الشرق الأوسط ١٩٩٢/٢/١٩م.

(٧) الأهرام في ١٩٩٢/٥/٢٩م.

(٨) انظر: الشرق الأوسط ١٩٩٢/٢/١٨م.

(٩) المسلمون العدد (٣٨١) ١٩٩٢/٥/٢٢٢م.

(١٠) انظر: تحقيقات "المسلمون" الصحفية ١٩٩٢/٥/٢٢م.

(١١) انظر: تاريخ الإسلام والمسلمين في "البوسنة والهرسك" من الفصل الثاني.

(١٢) انظر: المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص١٢٣.

(١٣) انظر دائرة المعارف الإسلامية ٣٩٣/٨، المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص١٢٦.

(١٤) المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص١٢٦.

(١٥) دائرة المعارف الإسلامية ٣٥٧/٨.

(١٦) انظر: دائرة المعارف الثقافية ص٣٩٤.

(١٧) الشعب عدد ١٩٩٢/٦/٢٣م.

(١٨) المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص١٢٧.

(١٩) فهمي هويدي مجلة "المجلة" في ٢٧/٥/١٩٩٢م.

(٢٠) المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص١٢٧.

(٢١) الشرق الأوسط ١٨/٢/١٩٩٢م.

(٢٢) انظر: الشرق الأوسط عدد ١٨/٢/١٩٩٢م.

(٢٣) سيأتي الحديث عنها قريباً.

(٢٤) انظر: دائرة المعارف الثقافية ١٠٧١، الشعب ٢٣/٦/١٩٩٢م، المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص١٢٧.

(٢٥) انظر:الشرق الأوسط ١٨/٢/١٩٩٢م، مجلة "المجلة" ٢٧/٥/١٩٩٢م.

(٢٦) الشرق الأوسط ١٨/٤/١٩٩٢م.

(٢٧) دائرة المعارف الثقافية ص٢١٦.

(٢٨) انظر: المسلمون العدد (٣٨١٠) في ٢٢/٥/١٩٩٢م.

(٢٩) انظر: الشرق الأوسط ١٦/٢/١٩٩٢م.

(٣٠) المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص١٣١.

(٣١) المساء ٧/٦/١٩٩٢م.

(٣٢) المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ص١٢٨.

(٣٣) محمد علي إبراهيم .. "المساء" ٧/٦/١٩٩٢م.

(٣٤) محمد علي إبراهيم .. "المساء" ٧/٦/١٩٩٢م.

(٣٥) محمد علي إبراهيم .. "المساء" ٦/٦/١٩٩٢م.

(٣٦) انظر: المساء ١١/٦/١٩٩٢م.

(٣٧) انظر: محمد علي إبراهيم .. المساء ٩/٦/١٩٩٢م.

(٣٨) محمد علي إبراهيم .. المساء ١٤/٦/١٩٩٢م.

(٣٩) محمد علي إبراهيم .. المساء ١٤/٦/١٩٩٢م.

الفصل الخامس

سلخانة المسلمين

١٤١٢هـ-١٩٩٢م

- دوافع هذه المذابح.
- التخطيط لبدء المذابح.
- محاولات منع المذابح
- ألوان من المذابح
- تقرير وفد زيارة لجنة الأغاثة.
- هل قضت المذابح على هوية هذا الشعب المسلم..؟

دوافع هذه المذابح

تتجسد أبرز دوافع مذابح المسلمين في "البوسنة والهرسك" الأخيرة حسب ما نراه في الحيلولة دون إقامة "جمهورية إسلامية" في أوربا، بما يمثله ذلك من خطر على الغرب كله، كما يتصور الكثيرون من الغربيين، خاصة أن الموروث من العداء للمسلمين من أيام الفتوحات الإسلامية، بل أيام الدولة الإسلامية، عندما كانت تمثلها وتجمعها دار الخلافة في تركيا شيء كثير، وهذا الموروث من العداء تغذية لدى الشعوب الأوربية والأمريكية الكنائس جميعها على اختلاف مذاهبها واتجاهاتها، كما يغذيه فيهم من جهة أخرى الباحثون — منهم — والعلماء الذين يدركون خطورة "المشروع الإسلامي العالمي" أو بتعبير آخر "دعوة الإسلام العالمية" وصلاحيتها لمناهضة أنظمتهم بل صلاحيتها لإصلاح ما فشلت فيه، أو أفشلته أنظمتهم.

وهذا العداء، وهذه الحيلولة: واضحة في كثير من أقوالهم وتصريحاتهم[1]، وكذلك: مواقفهم من المسلمين وقضاياهم على مستوى العالم مقارنة بمواقفهم مع غير المسلمين وقضاياهم.

وهذا العداء وهذه الحيلولة: واضحة — كذلك — في تصريحات القيادات الصربية، والتي منها على سبيل المثال، ما أعلنه "كرات شيتس" زعيم الحزب الصربي في البوسنة، حينما قال: "إننا لا يمكننا أن نعيش مع المسلمين على بقعة واحدة من الأرض، حتى لا تتكرر مأساة الهند وباكستان، أو تركيا واليونان"[2].

بل إن هذا العداء، وهذه الحيلولة: واضحة كل الوضوح في الأحداث الدامية والمذابح، التي تجري للمسلمين في سلخانات لا تقارن بها سلخانات المجازر الآلية للبهائم والحيوانات في هذه البلاد، لإنهاء وجودهم، أو على الأقل: لتقليل عددهم، بمجرد الإعلان عن ميلاد جمهورية "البوسنة والهرسك" عقب الاستفتاء الحر الذي اشترك فيه المسلمون والكروات يومي ٢٩ من فبراير والأول من مارس ١٩٩٢م.

وكان ذلك على نحو مما يلي:-

التخطيط لحرب أهلية

ليست الحروب الأهلية بجديدة على "يوغوسلافيا" فلقد وقعت "الحرب الأهلية" قبل ذلك خلال الحرب العالمية الأولى، وكان ضحيتها المسلمون الذين ارتكبت ضدهم المجازر البشعة، والتي تسببت في تشريد الآلاف منهم، وطردهم من مساكنهم وبلادهم.

ولا مانع من تجديد هذه الحروب الأهلية، التي سوف يكون ضحيتها — كما يخططون — المسلمون فقط.

ولذلك:

فإنه عندما خرج المسلمون في يومي التاسع والعشرون من فبراير والأول من مارس ١٩٩٢م ليشاركوا في الاستفتاء العام على خيار البوسنة الحاسم بين الاستقلال أو البقاء مع صربيا والجبل الأسود، فيما تبقى من الاتحاد اليوغوسلافي المنهار، وهو الاستفتاء الذي يأتي استجابة للشرط الأوروبي للاعتراف بها، وضمها كجمهورية مستقلة للمجتمع الأوربي، كما فعل مع "سلوفينيا" و"كرواتيا".

عندما حدث ذلك: ثارت ثائرة الصرب وقادتهم.

وفامتنعت الأقلية الصربية ــ إلا قليلاً منهم(٣) ــ عن هذا الاستفتاء بناءً على تعليمات لهم.

كما أخذت هذه الأقلية في التحرش بالمسلمين وافتعال المشاكل والأزمات معهم، في مثل ما حدث من أحد الصربيين، الذي أصر على رفع العلم الصربي في أحد الأعراس، والتلويح به، ليلة الاستفتاء، والدخول في مشاجرة مع ثلاثة من الشبان، لم يعلن بعد عن هويتهم ــ والتي أدت في النهاية إلى مقتله(٤).

وكان من الممكن ــ لولا نية مبيتة ــ أن يمر هذا الحادث كغيره من الأحداث العادية ..!!

كما كان من الممكن ــ لو كان المقتول مسلماً ــ أن يمر هذا الحادث كغيره من الأحداث التافهه ..!!

إلا أن السلطات الصربية: عملت على استغلاله استغلالاً سيئاً ، يساعدها في الوصول لمخططاتها، وتحقيق أهدافها، إذْ اعتبرت أن هذا الحادث هو محاولة لمنعهم من ممارسة عاداتهم وتقاليدهم بصورة طبيعية.

ففي خلال عشر دقائق فقط: استطاعت الميليشيات الصربية، أن تشل الحركة تماماً في العاصمة "سراييفو" من خلال إقامة الحواجز المسلحة في الشوارع.

كما تعاملت بعنف شديد مع الجمهور؛ حيث كانت تطلق الرصاص مباشرة على من يقترب منها.

وكذلك: منعت مرور سيارات الإسعاف لنقل المصابين من رصاصهم، حتى إن بعض حالات الولادة حيل بينها وبين الوصول للمستشفيات.

وقد تعرض الصحفيون الذين حاولوا الاقتراب من الحواجز التي أقاموها إلا إطلاق الرصاص، وأفادت الأنباء ــ في حينها ــ أن أحدهم أصيب، وتم نقله في حالة خطيرة إلى المستشفى.

وقد كتب أحد الصحفيين في جريدة "صوت المسلمين" الصادرة في سراييفو، كاشفاً أسباب التصعيد بعد هذا الحادث "لقد قتلوا لنا ٢٢ مسلماً طوال الشهر الماضي ــ فبراير ١٩٩٢م ــ ولم نفعل مثلهم، ولكن الدافع الحقيقي ليس مقتل أحدهم، وإنما هو فقدوا أعصابهم نتيجة هذا الإقبال الشديد على الاستفتاء(٥) ولم يكتفوا بالتحرش فقط وافتعال الأزمات كما رأينا، بل:

إنهم مارسوا العنف بكل صورة سواء كان ذلك قبل الاستفتاء أو أثناءه.

حيث قاموا بتفجير مسجد أثري في "بينالوكا"

كما قاموا بإلقاء القنابل على بعض مقار الاستفتاء.

ومنعوا ـــ كذلك ـــ فتح بعض هذه المقار التي توجد في المناطق ذات الأغلبية الصربية.

وكذلك: أطلقوا الرصاص بصورة تهديدية على مآذن المساجد التي تنتشر في البوسنة.

كما لم يكتفوا: بالتحرشات، وافتعال الأزمات، وممارسة العنف، وإطلاق الرصاص؛ لغرضهم.

إذْ صرحوا بعدم اعترافهم بنتيجة الاستفتاء الذي أتى لصالح الاستقلال بنسبة ٦٢,٨% والذي شارك فيه ٦٣,٢% من مجموع سكان الجمهورية، والذي تم على مرأة ومسمع من العالم كله، والذي شهد بتراهته المراقبون.

وكان ذلك على لسان رئيس البرلمان في "البوسنة" فهو صربي، حينما قال "إن هذا الاستفتاء غير شرعي وهو لا يعنينا في شيء".

كما كان ذلك ـــ كذلك ـــ على لسان قائد الجيش البوسني ـــ وهو صربي ـــ حينما صرح لجريدة "التحرير" البوسنوية يوم ١٩٩٢/٢/٢٣م قائلاً "بأنه لا يعترف لا بالحكومة البوسنوية المنتخبة، ولا بإجراءات الاستفتاء".

بل عن الجيش نفسه: قام بإجراء بعض المناورات العسكرية التحذيرية ـــ في بعض المدن ـــ صبيحة الاستفتاء.

ولما قام المسلمون ـــ كما سنوضحه ـــ بالتفاهم مع هؤلاء للحيلولة دون وقوع حرب أهلية، تدبر فيها للمسلمين المكائد، ويعيد التاريخ خلالها المذابح، اشترطوا عليهم لوقف عملياتهم، ورفع حواجزهم: إلغاء هذا الاستفتاء والرجوع عن الاستقلال.

ولما رفض المسلمون ذلك دهمت ميليشيات الصرب مبنى التلفزيون البوسنوي، وعملت على إحياء فكرة تقسيم البوسنة عن طريق تقسيم نشرات الأخبار إلى ثلاثة أجزاء: واحدة للصرب، وأخرى للكروات، وثالثة للمسلمين.

كما قاموا ـــ ليلة الاستفتاء ـــ بإعلان "جمهورية البوسنة الصربية".

كما أعلنوا عن استقلال "جمهورية كرواتيا".

وبذلك: تحقق ما يريدون ..!!

إذْ جعلوا ما يدور من بدايات المذابح للمسلمين على أرضهم تبدوا أمام الرأي العام وكأنها "حرب أهلية" تدفعها النزعات العرقية، وتشعل نيرانها القوميات والعصبيات.

فماذا كان دور المسلمين ..!!

* * *

محاولات منع المذابح

كان قادة المسلمين في "البوسنة والهرسك" يدركون جيداً ما يحاك ضدهم، ويدبر بليل ونهار لهم، ويعرفون التاريخ الأسود الذي يحاول أن يعيد ـــ ببلادهم ـــ نفسه ولذلك:

فقد حرص هؤلاء القادة على التأكيد بكل الوسائل على انحيازهم للوسائل الديمقراطية، والسلمية لحل الصراع القائم.

حينما أدوا مراراً وتكراراً ـــ أمام الخاصة والعامة ـــ أن صناديق الاقتراع هي البديل للبندقية.

وحينما وحدوا صفوفهم الإسلامية في داخل الجمهورية، كما سنوضحه(٦).

وحينما بذلت القيادة الإسلامية السياسية في البوسنة، الجهود الدبلوماسية المكثفة الصادقة والجادة والناجحة في الساحة الدولية على محاور أوربا وأمريكا، حتى العالم الإسلامي: في شرح أبعاده المأساة التي يمكن أن تحل بالبوسنة حال تقسيمها، واندلاع حرب أهليه بها.

وقد استطاع الزعيم المسلم "علي عزت بيجوفتش" ووزير خارجيته الدكتور "حارث سلاكيتش": أن يبسطا الموقف الإسلامي المتسامح والمسالم بكل أبعاده للعالم الخارجي؛ مما كان له أثره ولو على مستوى تهدئة المخاوف التي حرص الإعلام الغربي على إثارتها مردداً أنا لزعيم المسلم "علي عزت" يسعى لبناء دولة أصولية إسلامية متطرفة في قلب أوربا.

وعندما سئل الرئيس "علي عزت" عن ذلك في أحد المؤتمرات الصحفية، التي عقدها أثناء التستفاء، أجاب غاضباً وهو يطرق المائدة بيده، قائلاً: "عليكم أن تتحملوا تبعة الدعاوى التي ترموننا بها".

ثم قال: "نحن نسعى لبناء دولة مشتركة".

كما أنه أرسل النداءات؛ وقام بالزيارات للعالم الإسلامي وقادته مستغيثاً، وطالباً التدخل لمنع المذابح التي يستشعر قرب وقوعها للمسلمين في بلاده.

بل إن هذا الزعيم المسلم الواعي: قام ـــ على المستوى الداخلي ـــ بأروع أسلوب لإنقاذ شعبه من ويلات حرب تنذر بالعواقب الوخيمة.

حينما ناشد شعبه وهو في ذروة الأزمة: أن يفرضوا السلام على البوسنة، قائلاً "فلنخرج ودعونا نستمتع ببشائر الربيع" وخرج الرجل ـــ في بلد تكتظ بالسلاح ـــ مترجلاً على أقدامه، واندفعت آلاف الجماهير وراءه تهتف له "وللبوسنة" المسالمة، وكأن يتحدى الحروب، أو كأنه يفدي بلاده بنفسه، حتى لا تقع الحروب، وهو يثبت للعالم أنه وشعبه لا يريد الحروب ..!!

فهل منع ذلك المذابح والمجازر ..؟

* * *

ألوان من المذابح

إن هذه الأحداث المفتعلة، والتي سميت بالحرب الأهلية الثانية:

لم يمنع من تحولها إلى مجازر للمسلمين ما قام به زعماؤهم من محاولات عدم تصعيدها.

ولم يمنع ـــ كذلك ـــ من تحولها إلى مجازر: صمت العالم، ومؤسساته، والشرعية الدولية المزعومة، أو تصريحاتهم القوليه الدعائية، وتهديداتهم الجوفاء، واستنكارهم الهزيل، وكأن الكـــل يبـــاركون وهـــم يرقبون هذه التدعيات.

وتحولت الأحداث إلى مذابح ومجازر ـــ لم يشهدها العالم منذ الحرب العالمية على النحو التالي:

أ- بدأت المعارك العنيفة في معظم أنحاء جمهورية "البوسنة والهرسك" وازداد القتال شـــدة وضـــراوة وعنفاً لاشتراك قوات الجيش الاتحادي فيه من جهة، ولتسليح الميليشيات الصربية فيه من جهة أخرى في الوقت الذي لا يمتلك فيه المسلمون من الأسلحة ما يواجهون به هذه القوات.

مما دفع رئيس البوسنة "علي عزت" مجبراً إلى الدعوى لانتفاضة ضد القوات الصربية، وطالب بالتدخل الأجنبي لوقف حمامات الدم في بلاده من خلال المذابح البشعة التي يسلخ فيها المسلمون(٧).

بل عن وزير خارجية الصرب نفسه ـــ على سبيل المثال يعترف ببشاعة المذبحة ـــ وشهد شاهد مـــن أهلها ـــ التي ارتكبها القوات الصربية يوم ١٩٩٢/٥/٢٧م ضد المواطنين من المســـلمين في البوســـنة والهرسك، والذين كانوا يتزاحمون على أحد المخابز، حينما قصفت هذه القوات منطقة تجارية بوسط "سراييفو" وراح ضحيتها أكثر من ٢٠ قتيلاً و١٦٠ جريحاً، كانوا يتزاحمون على لقمة العيش(٨).

وأخذت حدة هذه المذابح تزداد حتى وصلت أعداد القتلى من المسلمين ـــ كما تفيد وكالة رويتـــر للأنباء يوم ١٩٩٢/٦/٣م ـــ ٢٧٧٠٠ سبعة وعشرون ألفاً وسبعمائة قتيل وأن عدد الجرحى وصـــل إلى اثنين وعشرين ألفا منهم حتى هذا التاريخ(٩).

بل زادت وزادت إلى حد جعل "جيرمي بريد" أحد جنود قوات حفظ السلام بالبوسنة يقول: إنـــه خلال شهر عاش في خوف لم يعرفه طوال حياته.

يقول "بريد": إن شوارع وحواري وقرى ومدن المسلمين فرشت بجثث الرجال والنساء والأطفـــال الذين أعدموا لرفضهم لخضوع للهيمنة الصربية.

كما يؤكد: أن هناك مقابر جماعية حفرت ليقذف فيها بجثث المسلمين.

كما أنه: شاهد أحد قادة الجيش الصربي وهو يسحق رأس اثنين من المسلمين بالرصاص(١٠).

ومن جهة أخرى:

يؤكد سفير فرنسا في بلجراد: أن مقاتلي الميلشيات الصربية يجبرون الأطفال على السير وسط الألغاء؛ لتنفجر فيهم(١١).

وكان هذا القتل وهذه الإبادة تتم في صورة يندي لها جبين العالم، إن كان له جبين ..!!

وكان هذا القتل وهذه الإبادة: تتم على مرأى ومسمع من العالم، إن كان له آذان يسمع بها آهـــات المسلمين، أو عيون يرى أنهار دماءهم ..!!

فعلى سبيل المثال:

قبيل عيد الأضحى ١٤١٢هـ جرت مجازر في مدينة "فوتشا" تشيب لهولها الولدان ..!!
إذْ قامت القوات الصربية بشحن دفعات من أهلها في جرافات، قامت بدفنهم أحياء تحت الأرض، حتى لا يظهر لجريمتهم أثر.
ثم قاموا بحرق المدينة عن آخرها، حتى تحولت إلى كومة من الرماد وبقعة من السواد[١٢].
وفي يوم وقفه عرفات ١٤١٢هـ، وبينما المسلمون يستعدون لذبح أضحياتهم: قدم الصرب المجرمون للعالم الإسلامي(!!) أضحية العيد من أجساد وجماجم المسلمين ..!!
ففي هذا لايوم الحزين: جمع المجرمون (٤٧) مسلماً من أهالي قرية "فيش جراد" ووضعوهم داخل سيارة كبيرة، ثم ذبحوهم فرداً فرداً، وهم يوجهون كلمات السخرية في نشوة شيطانية، ثم سارت بهم السيارة حيث ألقت بجثثهم في نهر "الدرنيا" الفاصل بين "جمهورية البوسنة" وصربيا، لكي تصل إلى أهل البوسنة صبيحة يوم العيد كهدية من الصرب للمسلمين[١٣].

* * *

التمثيل بجثث القتلى

وصاروا: يتلذذون برؤية الدماء تسيل من المسلمين في وحشية مجنونة.
بل صاروا يمثلون بالجثث على نحو لم يسمع به التاريخ من قبل.
يروي مندوب جريدة الشعب في تحقيق له من أرض المذابح: أنه التقى بالمهندس "محمد تشنجتشن" ـــ نائب رئيس وزراء البوسنة ـــ وهو من أبناء مدينة "فوتشا" الذين نجوا من الإبادة الجماعية لأهلها والحريق المدمر لمبانيها، فقال له: إن الصرب يتلذذون برؤية دماء المسلمين في وحشية مجنونة .. إنهم ليسوا بشراً أبداً وإلا فكيف يتحمل بشر على نفسه رؤية جماجم الأبرياء منثورة في الشوارع ..؟
بل أي قلب بشري هذا الذي يتلذذ صاحبه بلعب الكرة بهذه الجماجم.
هذا ما فعله بالضبط مسئولان من الحكومة الصربية المجرمة، وهما:
وزير الإعلام "أوستشتش"
وأحد أعضاء البرلمان "مكسيموبيتش"
لقد شاركا بأيديهما في ذبح رجال المدينة، وفصلوا رءسهم، ثم لعبوا بها الكرة في الشارع[١٤].

* * *

تعمد قتل العلماء

وتعدى ذلك إلى تعمد قتل العلماء أمام جموع المسلمين، وللعلماء هيبة واحترام ..!!
وكأنهم يريدون بذلك: انتزاع الدين بانتزاع هيبة العلماء من النفوس.
فهذا هو إمام قرية "براتونانس" ينادون عليه ـــ بعد أن جمعوا رجال القرية في صفوف ـــ ويطلبون منه الوقوف أمام هذه الصفوف، ويطلبون منه: أن يشير بعلامة الصرب المميزة "علامة التثليث"

فيرفض الرجل بقوة؛ لأن هذا معناه عندهم: الخروج من الإسلام، فيضربونه حتى يفقد الوعي، وعندما ينتبه: يذبحونه وسط ذهول الحاضرين.

وهذا هو الشيخ "سرناه" إمام مسجد مدينة "فوتشا" التي أحرقها الصرب المجرمون.

لقد ذبحوا أولاده الخمسة أمام عينه، ثم ذبحوه[١٥].

* * *

خطف الأطفال

وقد لعب الصربيون مع كل ذلك: لعبة قذرة.

إذْ بدأوا في خطف أطفال المسلمين، مقابل فدية تدفع مقابل إطلاق سراحهم، وهي: إعلان موافقة أهليهم على تقسيم "البوسنة والهرسك" لصالح الصرب ورفضهم للاستقلال.

وقد احتجزوا ١٢٦ طفلاً في أول دفعة ـــ على سبيل المثال ـــ ولم يطلقوا سراحهم إلا بعد تعهد أهلهم كتابة: برفض الاستقلال، والموافقة على التقسيم، وإعلان جمهورية البوسنة الصربية"[١٦]

كما كانوا يحتجزون الذين يحاولون الهرب من جحيم الحرب.

حيث ذكرت وكالات الأنباء: أن راديوا "سراييفو" ذكر أن القوات الصربية احتجزت يوم ١٩٩٢/٥/٢٠م عدة آلاف من السيدات والأطفال المسلمين ممن يحاولون الهرب من جحيم المعارك في "سراييفوا" العاصمة[١٧].

كما أن الميلشيات الصربية بعد احتلال وتدمير معظم أحياء "سراييفوا" قاموا باحتجاز ٤٠٠ مسلم معظمهم من النساء والأطفال، ووضعوهم في معسكرات اعتقال، يعني في حصار داخل حصار[١٨].

* * *

الطرد والتشريد

ثم عملت القوات الصربية جهدها في طرد وتشريد من بقى حياً من المسلمين في "البوسنة":

وذلك: بهدف إخلا هذه البلاد من سكانها، بغرض الاستيلاء عليها، كما حدث ذلك من قبل في تاريخ هذه البلاد، ولتضعف مقاومة من يبقى ـــ بعد التصفيات الجسدية ـــ عن طريق القتل أو الطرد ـــ من المسلمين.

وقد أفادت الأنباء أنه حتى ما قبل تاريخ ١٩٩٢/٥/٢٩م تم تشريد نحو مليون مسلم من سكان "البوسنة والهرسك"[١٩].

كما قدم تقرير لمجلس الأمن يفيد: أن عمليات الطرد والعدوان، تتم على نطاق لم تشهده القارة الأوربية منذ الحرب العالمية[٢٠].

ويمكننا أن نفهم مغزى هذا التقرير، إذا عرفنا أن هؤلاء الذين تم طردهم من بلادهم "قد تشتتوا في أكثر من إحدى عشرة دولة أوربية من دول الجوار.

فجمهورية "سلوفينيا" وهي من دول الاتحاد اليوغوسلافي المنحل،والتي تقع شمال "البوسنة": تأوي من هؤلاء الذين تم طردهم من ديارهم ٣٠ ألف نازح، معظمهم من الأطفال، بينهم ٤ آلاف بدون إثبات شخصية، ويلزمهم غذاء يقدر ثمنه بـ ٣ ملايين دولار شهرياً، لا تجد منها هذه الدولة الناشئة إلا القليل.

وجمهورية "مقدونية" ـ كذلك والتي تقع جنوب البوسنة: تأوي ١٢٨ ألف نازح، بينهم ١٥ ألف طفل، والباقي من العجائز، ويحتاجون فقط إلى غذاء يقدر بـ ١٠ ملايين دولار، لا تتوافر لدى هذه الدولة.

وفي المجر: ٤٥ ألف مسلم لاجئ منذ عام تقريباً، ويقف على الحدود ٢٠٠ ألف لاجئ آخرين، ينتظرون السماح لهم بالدخول، مما سيسبب مشاكل كبيرة لدى المجر.

وفي النمسا: ٣٠ ألف مسلم لاجئ من قبل.

وفي إيطاليا: ٥٠٠ ألف مسلم لاجئ من قبل.

وفي ألمانيا: ٢٠٠ ألف مسلم لاجئ من قبل، غير ٥٠ ألف آخرين وصلوا بالفعل إلى الحدود الألمانية،ولكنهم لا يستطيعون الدخول لعدم حصولهم على تأشيرة دخول.

وفي تركيا: ألفان لجأوا إليها.

أما في "جمهورية كرواتيا" فقد لجأ ما يقرب من مليون مسلم، تم توزيع الغالبية منهم على مراكز: في العاصمة "زغرب" ومدينة "سبليت" الواقعة: على البحر "الأدرياتيكي"[٢١]

وكان هذا الطرد في أبشع صورة:

تروي "نهى كمال الدين" وهي طالبة جامعية، شردت من مدينتها "سراييفوا" وطردت إلى حيث لا تدري.

تقول: خرجنا بعد منتصف الليل من "سراييفو" ولم نكن سوى نساء وأطفال ورجال عجائز، مشيناً مسافات طويلة على الأقدام،ونحن لا ندري هل سنفلت من الصرب بسلام، أو سيعتقلنا حاجز صربي ..؟ كنا نرى قذائف الصواريخ والمدفعية تضيء سماء "سراييفو" المظلمة .. نجد صعوبة في السير بين المرتفعات والجبال، ونحن نحمل حقائبنا التي استطعنا الخروج بها على أظهرنا.

ثم تقول: تخيل كيف تتحمل النساء ذلك، خاصة وأن بعضهن حوامل ..؟

وكيف يتحمل الأطفال ذلك، وليس معنا من الغذاء إلا القليل[٢٢] ..؟

وقد أدى هذا الطرد المتعمد، والتشريد الجماعي، وارتفاع نسبته إلى قلق الدوائر العالمية، ليس من باب الحرص على صالح المطرودين، ولكن من باب الحرص على مصالحهم وزعاماتهم التي يهددها مثل ذلك.

فلقد أفادت وكالات الأنباء: أن "واشنطن" قلقة لتهجير السكان، حيث إن الغالبية مـــن المســـلمين، وخاصة في شمال غرب "البوسنة والهرسك".

وقد أعلنت الناطقة باسم وزارة الخارجية الأمريكية "مارجريـــت تـــاتويلر" أن الولايـــات المتحـــدة الأمريكية تدين بشدة استعمال الصرب لأساليب إرهابية لطرد من ليسوا من الأراضي الـــتي تخضـــع لسيطرتهم[٢٣].

وهذا للعلم: كلام فقط من الولايات المتحدة للاستهلاك الدعائي، نقلنـــاه لتســـجيل الحـــدث، لا للسخرية من رد فعل الحدث ..!!

* * *

الذبح بالحصار والتجويع

وقد استعمل الصرب سياسة الحصار والتجويع لمن نجا من القتل، ورفض الطرد، وآثر البقاء.

حيث منعت وصول المواد الغذائية إلى القرى والمدن، بل تعمدت إتلافها، بل صارت تقتل من يبحث عنها، كما حدث في مذبحة "الأربعاء"[٢٤] في يوم ١٩٩٢/٥/٢٧م.

وأغلقت الموانئ والمطارات حتى لا تصل الأغذية والمعونات إلى المحاصرين.

ومن مدينة "فروفتينا" تحكي "نهى كمال الدين" ــ الطالبة الجامعية، والتي هربت من نيران وحصـــار "سراييفو"ــ لمندوب "المسلمون" قائلة: لقد تركت "سراييفو" في مجاعة كاملة، حيث لا توجد مـــواد غذائية، والحصار الصربي حولها: يمنع دخول أي شيء إليها، لا حليب للأطفـــال، ولا مـــاء نقـــي للشرب، بعد أن توقف ضخ المياه؛ نتيجة قيام الميلشيات الصربية ووحدات الجيش اليوغوسلافي بتدمير ماكينات المياه[٢٥].

وقد دفع وضع المجاعة هذا الشيخ "يعقوب سليموسكي" رئيس علماء البوسنة الأسبق: لأن يطلب من تركيا تأمين الغذاء بإسقاطه من الطائرات، وإلا فإن المجاعة ستقتل أهل "ســـراييفو" النـــاجين مـــن الذبح[٢٦].

بل أكد "سيد ريك ثورنبيري" أحد قادة قوات حفظ السلام الدولية في يوغوسلافيا: أن ٣٠٠ ثلاثمائة ألف مواطن في عاصمة البوسنة والهرسك" ــ وحدها ــ يواجهون خطر المجاعة، بســـبب حصـــار القوات الصربية لهم، وعدوانها على أرضيهم[٢٧].

وأصبح مطار "سراييفو" وهو آخر صلة للمحاصرين في هذه المدينة بالعالم الخـــارجي محـــل صـــراع وحصار لشهور طويلة.

وفشلت كل المحاولات لفتحه حتى قوات الأمم المتحدة فشلت في فتحه لاستقبال الطعام والدواء.

وقد أعلن زعيم المقاومة في "سراييفو" أن الناس قد بـــدأت تأكـــل ــ مـــن الجـــوع ــ حشـــائش الأرض..!!

وهذا يعني ــ كما يقول الأستاذ أحمد بهجت بحق ــ أن الصرب يحاربون المسلمين بالنار والمجاعة معاً، فمن افلت من النار: قضت عليه المجاعة(٢٨).

* * *

العمل على تنصير المسلمين

ووسط هذه المذابح الدموية، والطرد الجماعي والتشريد المتعمد، والتجويع اللاإنساني للمسلمين: كانت تمارس ضدهم أولاً أخرى من الحروب، هي أشد فتكاً بهم، وإيلاماً لهم من حروب السلاح؛ لولا أن لديهم قوة إيمانية، وتشبث لديهم بالدين، ألا وهي حرب العقيدة.

إذْ كان يمارس التنصير فيهم بشكل عجيب دؤوب.

حيث أفادت تحقيقات مندوب جريدة "المسلمون"(٢٩).

أ- أن بعض المهاجرين اشتكوا له من اختفاء أطفالهم من المعسكرات، وأنهم لا يدرون أن ذهبوا؟.

ب- وأن هناك من أكد له أن عصابات كنسية تقوم بسرقة الأطفال، وترحيلهم إلى أماكن مجهولة في كرواتيا وألمانيا.

ج- ويؤكد أن هذا يتفق مع ما نقلته وكالات الأنباء عن "أتوبيسات" لترحيل أطفال المسلمين فقط من "سراييفو" إلى ألمانيا وبريطانيا.

ويلاحظ: أن "الميلشيات الصربية" فتحت الطريق لهذه الأتوبيسات، ولم تتصد لها كما تتصدى للمهاجرين الآخرين.

د- أنه قابل في أحد المعسكرات قساوسة من كنيسة "أمريكية" يقومون بتنصير علني بين الناس.

هـ- وأكد له ــ كذلك ــ من التقى بهم من المسلمين في معسكرات المهاجرين: أن قساوسة من "الفاتيكان" ومن كرواتيا "وسولوفينا" و"ألمانيا" و"بريطانيا" و"النمسا" و"أمريكا" يترددون عليهم بصفة مستمرة، ويطرحون بشكل مباشر وواضح إغراءات التنصير، متسغلين الظروف الصعبة التي يعشونها وأن بعضهم يعرض استضافة الأطفال في كنائسهم(٣٠).

كما تفيد تحقيقات أخرى ــ أحدث منها قليلاً ــ أن هناك في وسط اللاجئين، حسبما أعلن مسئول الفاتيكان في "مؤتمر زغرب للإعانات الإنسانية" عدد ١٩٢ لجنة تابعة للكارتياسي العالمي، وهي منظمة كنسية تنصيرية ــ تقدم خدماتها لهؤلاء اللاجئين.

وهناك ــ كذلك ــ الصليب الأحمر، ومنظمة أطباء بلا حدود(٣١)...!!

بل عن التنصير يمارس إكراهاً وتحت تهديد السلاح كذلك:

إذ يوزع الحزب القومي الصربي ــ هذه الأيام خلال مذابح ١٩٩٢م ــ منشورات في "سراييفو" والمدن التي حولها تقول: "عودوا إلى حظيرة الرب، حتى لا يسري عليكم الأمر المقدس" والأمر المقدس: هو الذبح أو القتل(٣٢).

بل إن الحقد الأسود على المسلمين، والحرص الأعمى على تنصيرهم: دفـــع القـــوات الصـــربية إلى تنصيرهم وهم أموات ..!!

إذْ لما عجزوا عن تنصيرهم: أحياء، ذبحوهم، وكانوا يرسمون "الصليب" على أجســـادهم ـــ وهـــم أموات ـــ بالسكاكين، وكأنهم أبوا إلا أن يدخلوهم قبورهم والصليب عليها(٣٣)..!!

ثم عمدوا ـــ فيما عمدوا من حربهم القذرة إلى هدم الآثار الإسلامية.

وكأنهم يحاولون بذلك تجريد الذاكرة الجماعية لشعب "البوسنة والهرسك" من رموز الهوية والإنجـــاز الحضاري الذي نشأ من الفكر والعقيدة "الإسلامية"(٣٤).

بل يحاولون بذلك "طمس الوجود الإسلامي بالحديد والنار ـــ في حملة شرسة تحت سمع العالم وبصره ـــ في شبه جزيرة البلقان كلها وضرب الإسلام حتى لا تقوم له قائمة في القارة الأوربية.

ولذلك كان كشف خسائر عملية الإبادة التي يتعرض لها المسلمون في يوغوسلافيا كما رواها " محرم عمر ديتش" رئيس الإدارة الدينية العليا للمسلمين في شبه جزيرة البلقان، والتي نشرها الأهرام في يوم ٢٩/٥/١٩٩٢م يحتوي على الكثير من ذلك، حسب ما يلي:

١- تدمير ٨٠ مسجداً ـــ حتى هذا التاريخ ـــ في جمهورية البوسنة والهرسك.

٢- قصف الإدارة العليا للمسلمين في البلقان ومقرها "سراييفو".

٣- تدمير مسجد "البيك" في "سراييفو" وهو أكبر مساجد البلقان، واحد من أقدم المساجد في أوربا كلها.

٤- تدمير جميع المساجد في منطقة "نوتشا" منذ أسبوعين، ورفع علم الصرب فوق مآذن المساجد عند احتلالها.

٥- قصف مسجدي "علاء باشا" و"أمين بك" بالصواريخ، ونهب كل: الآثار، والكتب الإســـلامية والمصاحف، التي ترجع إلى العصر العثماني والتي لا تقدر بثمن.

٦- تدمير مسجد "كاراجور" الشهير، الذي أقيم في القرن الخامس عشر، والذي يدخل ضمن المعالم التاريخية التي تشرف عليها هيئة "اليونسكو".

٧- هدم عشرات المزارات الإسلامية، والتكايا، والآثار العريقة في منطقة "موستار".

٨- تفجير مسجد أثري في مدينة "شابلينا" عن طريق شحنات متفجرة، بالتحكم من البعـــد وأثنـــاء الصلاة، ومصرع كل المسلمين داخلة وهم بين يدي الله.

٩- منع الأذان والصلاة فيما تبقى من بيوت الله، حتى صلاة الجمعة على وجه الخصوص.

١٠- تشريد نحو مليون مسلم ـــ حتى هذا التاريخ ـــ من مسلمي جمهورية "البوسنة والهرسك"، وقد وصل هذا العدد إلى مليون و٣٠٠ ألف في ١/٧/١٩٩٢م.

* * *

تقرير حول زيارة وفد لجنة الإغاثة لمناطق "البوسنة والهرسك"

قامت لجنة الإغاثة باختيار وفد استطلاعي للوقوف على الأوضاع داخل أرض "البوسنة والهرسك" وتقديم المعونات المتوافرة لدى اللجنة وقد تم اختيار الوفد كالآتي:-

١- الدكتور أشرف عبد الغفار ـــ أمين عام لجنة الإغاثة.

٢- الدكتور عبد القادر حجازي ـــ عضو مجلس نقابة الأطباء.

٣- الدكتور عبد الحي سليمان ـــ رئيس مكتب الهلال الأحمر الكويتي سابقاً وقد شارك مع الوفد مندوباً عن فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر/جمال الدين قطب الواعظ بالأزهر وعضو مجلس الشعب .. كما رافقت الوفد بعثة صحيفة من جريدتي الأخبار والشعب. ومكثت اللجنة مدة أسبوعين تجوب أماكن إيواء اللاجئين في مختلف المناطق وأماكن التجمعات البشرية داخل البوسنة مع الاهتمام الخاص بالأوضاع الصحية والطبية.

ويتناول التقرير النقاط التالية:

أ- خطوات الزيارة.

ب- نتائج المؤتمر.

ج- أوضاع اللاجئين.

د- الأضرار المتوقعة.

هـ- تصور المستقبل.

و- ما قامت به اللجنة.

* * *

تقرير مفصل عن خطوات الزيارة

في يوم ١٩٩٢/٦/٨م قامت البعثة بزيارة الخطوط المتقدمة في إحدى الجبهات القتالية وهي مدينة سلوفانسكي برود ومدينة ديرفينتا، وقد هالها حجم الدمار الذي أصاب المنازل والمساجد ولوحظ أن بعض القرى تهدمت وهجرها أهلها، وأثناء هذه الجولة تمت زيارة أحد مراكز الأسعاف المتقدم والذي تقوم عليه طبيبة هربت من المنطقة التي كانت تعمل بها حين هاجمتها القوات الصربية، وقد شكت الطبيبة من عدم وجود أي شيء معها يساعدها على تقديم العون لجرحى المناطق المتضررة.

وقد بدا واضحاً ضرورة إيجاد عيادات طوارئ متقدمة في هذه الأماكن ومجهزة بسيارات إسعاف تستطيع نقل الجرحى بعد الإسعافات الأولية إلى المستشفيات داخل الحدود الكرواتية.

* * *

عقد مؤتمر إغاثي دعت إليه الحكومة الكرواتية في مدينة زغرب اجتمعت فيه معظم الهيئات الإغاثية العالمية وممثلين عن الدول المجاورة لمواقع الأحداث وشارك وفد اللجنة فيه.

وقد شارك في المؤتمر ممثلو: مصر، ألمانيا، فرنسا، بريطانيا، النمسا، إيطاليا، المجر، الدنمارك، الولايات المتحدة، سويسرا، الفاتيكان، وشاركت الهيئات الإغاثية الإسلامية من مصر، السعودية، الكويت، الإمارات، بريطانيا منظمة الصليب الأحمر الدولي، اليونيسيف، الصحة العالمية، مفوض شئون اللاجئين بالأمم المتحدة، أطباء بلا حدود الفرنسية، مجتمع الكنائس العالمي.

وقد رأس المؤتمر نائب رئيس وزراء كرواتيا والمسئول عن شئون اللاجئين، وقد تناول المؤتمر الحديث عن الوضع الراهن من ناحية اللاجئين وكيفية إيوائهم واحتياجاتهم الملحة وعدم قدرة الحكومة الكرواتية على تلبية مطالبهم نظراً لقلة الموارد.

وقد استعرضت الدول المشاركة المعونات التي قدمتها للحكومة الكرواتية وبدا واضحاً أن المؤتمر يتحدث عن إغاثة جمهورة كرواتيا ولم يتطرق إلى إغاثة مناطق "البوسنة والهرسك" ولم يتطرق إلى الحصار الغذائي والدوائي اللاإنساني المفروض على هؤلاء المواطنين من أبناء " البوسنة والهرسك" والذين لم يهاجروا بعد وقد بدا الوجود الإغاثي الإسلامي ضعيفاً.

* * *

ب- تلخيص لنتائج المؤتمر

بعكس ما كان منتظراً لم يحدث أي اهتمام بما يقدم لأهل البوسنة مع صب الاهتمام الكامل بما يقدم لجمهورية كرواتيا. وقد أبدى ممثلوا حكومة البوسنة الذين حضروا لمؤتمر استياءهم الشديد من ذلك.

وقد عقدت مقابلة مع نائب رئيس الوزراء البوسني فأوضح أن القضية تتلخص في: هل يكون هناك إسلام على هذه الأرض أو لا يكون؟ وهل يكون هناك مسلمون أولاً؟ وذكر أنا لقتال منصب على المسلمين بالبوسنة يقصد الإبادة، وأوضح أن أوربا كلها بل العالم كله ينظر إلى القضية نظرة المتفرج انتظاراً للنهاية التي يرغبون فيها مع الحرص على عدم مشاركتهم الواضحة فيها.

كما أوضح أنهم قد أصيبوا بصدمة نتيجة عدم انفعال الحكومات الإسلامية بالقضية والتي لو انفعلت ـــ على حد قوله ـــ تفاعلاً حقيقاً لتغير الوضع سواء من الناحية السياسية وإدانتها هذه المذابح أو تقديم المساعدات المادية التي كان من الممكن أن تمكنهم من الدفاع عن أنفسهم، وقد ذكر أنهم طالبوا الحكومات الإسلامية قبل نشوب الحرب تقديم أي لون من المساعدة تحسباً لما حدث،ولكن لم تكن هناك أي إيجابية في هذا الاتجاه.

وتحدث الوفد عن المذابح الرهيبة التي يتعرض لها أبناء "البوسنة" وحجم الدمار الذي حدث لهم.

وأوضح أنه نتيجة الحصار المفروض على العاصمة "سراييفو" فإن الإحصاءات تقول: إن مائة شخص على الأقل يموتون يومياً بسبب النقص الحاد في الطعام.

وأنه لا توجد حالياً أي رعاية صحية أو علاج أو دواء داخل العاصمة "سراييفو".

وأوضح أن الحكومات الإسلامية إذا لم تسارع لإنهاء هذه المأساة فسوف تكون نهاية الإسلامي على هذه الأرض.

وأكد على ضرورة الإسراع من الهيئات الإغاثية الإسلامية لتغطية وتلبية الاحتياجات من طعام ودواء وأماكن للإيواء.

وفسر مساعدة الكروات لهم بقصد تحويلهم عن دينهم.

وأشار إلى قضية خطيرة جداً وهي قضية نزوح الأطفال خارج البلاد وإيوائهم في منظمات كنسية في إيطاليا والنمسا وطالب الدول الإسلامية والمنظمات الشعبية الإسلامية بمحاولة وقف خطة إخراج الأطفال من بلادهم ودينهم.

وأنهى كلماته بتساؤل: أين المشاركة الإسلامية؟!! وأين الشرعية الدولية؟!! أين المعاني الإنسانية ونحن نذبح تحت سمع وبصر الجميع؟!!.

* * *

ثم ..

قام وفد اللجنة بزيارة مستودعات الإغاثة التي تم تخزين مشتريات اللجنة فيها من أغذية وأدوية وأغطية وقد بدا واضحاً أن المشتريات سواء من لجنة الإغاثة الإنسانية أو من الهيئات الإغاثية الأخرى لا تفي بالمطلوب وتمت زيارة المستودع الطبي لمنظمة الطوارئ (مرحمة)، وتسلمت اللجنة الطلبات العلاجية من الدواء والمستلزمات الطبية التي تخدم المصابين فيما حول "سراييفو" وقد تمكنت اللجنة من الوفاء بالمطلوب والحمد لله.

وفي صباح يوم عيد الأضحى شاركت البعثة المسلمين في زغرب واللاجئين صلاة العيد وقد بدا فيها واضحاً ارتفاع الروح الإسلامية عند هؤلاء الناس.

واختلطت فرحة العيد مع البكاء والذكريات: بالأمس كان لنا بيتا وكان العيد يجمع الشمل .. ولكن الآن أين؟ وأين ..؟

سافر الوفد في يوم العيد نفسه إلى مدينة سبيلت وهي المدينة الواقعة على الحدود الكرواتية البوسنية وبها العديد من مخيامات إيواء اللاجئين وقد زار الوفد في ذلك اليوم أربعة مخيمات للاجئين وهم جميعاً نساء وأطفال مع قلة قليلة من الشيوخ من الرجال، وقد أشار لنا القائمون على هذه المخيمات أن هذه السيدة قد استشهد زوجها وهي لا تدري، وأن هذه الطفلة قد ذبحت أسرتها جميعاً أمام عينيها، وأن هذه الأم الحزينة فقدت ابنها وقد ذبح أمام عينها، وذكرت إحدى السيدات أنها وجارتها من النساء المسلمات قد اغتصبن من الجنود الصربيين مع إصرارهم على أن يشاهد أبناؤهن اغتصاب الأمهات!!!

وكم من القصص والمآسي سمعناها من أصحابها حتى أننا نشفق على من يحكي لنا أحد قصته وفي أثناء زيارتنا لمقار اللاجئين كنا نفاجأ أن هذه تصرخ وتبكي بعد أن كانت هادئة .. ما الذي حـــدث؟!! لقد أبلغت الآن فقط أن القوات الصربية قد ذبحت أباها وعمها.

ووجدنا الأطفال وقد بدا واضحاً حبهم للإسلام وإصرارهم عليه، الأطفال يحفظون القرآن والبنـــات الصغيرات منهن قد ارتدين الحجاب والتي لم تتمكن من حفظ القرآن الكريم والتي ليس عندها خمـــار تطالب به بشدة.

ويتضح هنا الإصرار على الإسلام في:

- رفض أكل لحم الخنزير رغم أن هذا هو المتاح في الوجبات التي تقدم من الكروات.
- الإصرار على المظاهر الإسلامية.
- السعي لحفظ القرآن الكريم.
- التحية بالسلام عليكم.

وفي صباح اليوم التالي زار الوفد المذبح ليشهد ذبح الأضاحي التي تبرع بها المسلمون ليسدوا جـــوع إخوانهم من أبناء "البوسنة والهرسك" ثم بدأ الإعداد للسفر داخل أرض البوسنة لزيـــارة المستشـــفى الوحيد الذي مازال يعمل وهو في مدينة "زينتسا" وقد تم إعداد ذلك بالتنسيق مع رئيس المرحمـــة في سبيلت وتم إعطاؤنا سيارة كبيرة مع سائقين وكان الطريق وعراً جبلياً حيث إن الســـفر مباشـــرة في الطريق العادية لا يستغرق أكثر من ثلاث ساعات ولكن القوات الصربية ضربت الطرق لكي تعـــزل البوسنة عن العالم الخارجي كله ولذلك اضطررنا إلى أن نسير في الطريق الجبلية حيـــث الرحلـــة ١٢ ساعة بالسيارة، ووصلنا إلى المدينة قرب المغرب، وذهبنا إلى المستشفى وكم كان الترحيب، بنا وكم كانت فرحة الأطباء بإخوة لهم أطباء أمثالهم يزورونهم من مصر وغيرها.

المستشفى كبير به ١٢٠٠ سرير وكان يخدم البوسنة كلها حيث لا توجد مستشفيات قائمة غيره وفي جلسة مع مديرة المستشفى لاستجلاء الأمر عن حالة المستشفى واحتياجاته كان أول ما بدأنا به المدير الترحيب الشديد والاعتذار عن تقديم حتى فنجان من القهوة لأنه لا يوجد شيء.

ومن خلال حوارنا علمنا أن المستشفى يعمل به ١٧٧ طبيباً في مختلف التخصصات وحـــوالي ٥٤٥ ممرضة و١٢٠٠ عامل وكل التخصصات موجودة ماعدا جراحة الصدر والقلب.

الأطباء لا يتقاضون أجورهم منذ بداية شهر أبريل، المستشفى بلاد دواء، المستشفى بلا طعام. تضطر إدارة المستشفى غالباً في كل الأيام أن تبحث عن الطعام للمرضى في القرى المجـــاورة مـــن خـــلال مساعدة أهل القرى فيأخذون من هذا حليباً ومن هذا خبزاً، المهم أن المرضى أصبحوا بلا طعـــام ولا دواء وإصاباتهم شديدة من شدة وضراوة المعارك في "سراييفو" وما حولها، ولا يوجد ســـرير واحـــد خال في المستشفى.

وتفقدنا مخازن المستشفى ووجدنا أن الصيدلية لا يوجد بها إلا بعض أدوية والتي لا تكاد تكفي مريضا واحداً أو اثنين، وكفاءة الأطباء عالية وهمتهم أيضاً عالية ومعيشتهم بالمستشفى وعائلاتهم في المهجر وهم لا يستطيعون ترك المستشفى والبعض يعمل ثلاثة أيام متواصلة والعمل متواصل ليل نهار وكم كانت فرحتهم عندما وجدونا قد أحضرنا أدوية وأدوات طبية ولكن كم تكفي هذه الأدوية؟ والأدوات الطبية؟

ولذلك طلبنا من مدير المستشفى أن يعطينا قائمة بالأدوية والمطلوبات التي يحتاج إليها المستشفى وأن يحددوا كميات تكفي لشهر فكانت القائمة جاهزة وأنها تنتظر أحداً لكي يشتريها، وذلك فإن المستشفى يعمل بها عيادة خارجية لا تستقبل إلا الجرحى وحالات الطوارئ فقط ومع ذلك فليس به سرير خال.

ولما سألنا كيف يصل الجريح إلى هنا قالوا على الطريق الجبلية والسير على الأقدام أو حملاً على الأكتاف حتى سيارات الإسعاف لا تعمل لأن الوقود غير موجود.

أخبرنا مدير المستشفى أن برامج تطعيم الأطفال وتحصينهم قد توقفت وأن ثلاثة أطباء ومرضى قد استشهدوا بالطريق وهم داخل سيارة إسعاف في بداية المعارك، وشاهدنا فتاه صغيرة بترت ساقها وعلمنا أن أسرتها كلها ذبحت أمام عينها.

ومن خلال زيارتنا للمستشفى وبه الحالات بدا واضحاً كفاءة الأطباء وتوفيق الله لهم في علاجهم للجرحى والمرضى. وشكرنا مدير المستشفى حينما أخبرناه باستعداد الأطباء المصريين للمشاركة والمعاونة في العمل الطبي قال إنه الحمد لله عنده كفاءات طبية كثيرة ولكنه يحتاج بشدة إلى دواء وتجهيزات طبية مع ذلك أشار إلى أنه يحتاج إلى أستاذ جراحة مخ وأعصاب.

أما حال المدينة فهو حال لا إنساني، المحلات خالية تماماً، ليس بها شيء معروض من طعام أو دواء.

ليس بها بيع أو شراء طوابير من السادسة أو قبلها في البرد الشديد وتحت المطر، طوابير طويلة من النساء، ولما سألنا قالت النساء لا يوجد طعام والحكومة تحاول أن توفر لنا عن طريق بعض المنافذ الخبز واللبن الحليب، كل فرد في العائلة له ربع رغيف يومياً وكل عائلة لها كيلو لبن يوم بعد يوم يتم ذلك عن طريق البطاقات والبونات.

حتى الفندق الذي ذهبنا إليه اعتذر عن تقديم الطعام .. وأثناء عودتنا كنا نلتقي بأهل القرى وكان الصمود في عيون الأطفال والنساء وكم كان اعتزاز أهل القرية بالإسلام والحرص عليه وطول الطريق نجد سيارات لنقل النساء والأطفال من قراهم ومدنهم إلى خارج البوسنة بعضهم ليس معه شيء وهو مسافر ولاحظنا أنه لا يوجد من بين المهاجرين رجال سوى بعض الشيوخ والعجزة فقط.

أما الشباب فقد آثار أن يبقى ويدافع عن إسلامه، ووطنه داخل أرض "البوسنة" وعلى طول الطريق الجبلي الوعر كانت هناك حراسة، وتفتيش من الجنود المحاربين من أهل "البوسنة" ولما كانوا يعملون

أننا مسلمون مثلهم، وجئنا لمعونتهم يرحبون بنا كل الترحيب ويشيرون بعلامة النصر لنا، وقد وضعوا على أكتافهم شعار (الله أكبر).

وعند عودتنا إلى مدينة سبيلت عقدنا اجتماعاً مع الدكتور/رئيس المرحمة في سبليت وأخبرنا أن القوافل الغذائية بدأت تصل إلى "سراييفو" على طريق جبلية وكذلك عن الطريق الرسمي وبواسطة الفرنسيين. ولما تحدثت عن زيارتنا للمستشفى ولمدينة زينتسا أشار الدكتور/عزت مدير المرحمة أن وضع هذه المدينة أفضل كثيراً جداً من غيرها وأن حالة "سراييفو" وما حولها أصبح لا يمكن تصوره عقلاً.

ورغم ذلك فإننا وجدنا كثيراً من اللاجئين يعودون إلى داخل البوسنة في المناطق المحررة حول "سراييفو" نظراً لقصور الخدمات التي تقدم لهم في كرواتيا حيث إنهم يقبلون الحياة تحت الجحيم من تلك الحياة المهينة.

* * *

أوضاع اللاجئين

من خلال زيارتنا لأماكن إيواء اللاجئين تبين لنا الآتي:

- اللاجئون الكروات يقيمون في فنادق وتتكفل بهم الحكومة الكرواتية.
- اللاجئون المسلمون يقيمون إما في خيام أو في ملاجئ أو في الصلات الرياضية.
- في الخيام يفترشون الأرض غلا من بعض المعونات التي تأتي في صورة مراتب، والخيام قد تصلح صيفاً ولكنها لا يمكن البقاء بها في الشتاء حيث علمنا أن درجة الحرارة تصل في الشتاء إلى ٢٠ درجة تحت الصفر.

الملاجئ والصلات الرياضية سيئة للغاية.

- ليس هناك أي نوع من الخصوصية.
- العائلات تقيم كلها في الصالات الرياضية بل يوجد حوالي ٤٠٠ فرد في كل صالة رياضية من أطفال ونساء وشيوخ، المفترض أنالصالات الرياضية هي أماكن للمعيشة والطعام والنوم وكل شيء.
- دورات المياه سيئة للغاية ولا توجد بها منظفات.
- التهوية سيئة جداً وتنبعث من الصالات رائحة كريهة وينبئ ذلك بانتشار الأمراض.
- بدأت الأمراض تنتشر وكذلك الحشرات مثل القمل.
- الطعام غير كاف بالمرة والحكومة الكرواتية تقدم في أغلب الأماكن وجبتين فقط وفي بعض الأماكن وجبه واحدة واللحم الذي يقدم لحم الخنزير والمسلمون يمتنعون عن أكله.
- الملابس متسخة ليس عندهم ملابس أخرى.

ليس هناك أية وسائل للسترة، ولا توجد أية رعاية بالمخيمات، أو الاتصالات.

– الإحساس بالذل في تلبية الاحتياجات، فعلى سبيل المثال يرحلون ويفرق بينهم من مكان إلى مكان ولا يعرفون إلى أين يذهبون.

– يسجل الصليب الأحمر أسماء الأطفال من أجل إحضار طعام للأطفال ثم في الصباح لا يجد كثير من الأطفال أسماءهم وبالتالي لا يأخذون الطعام.

– توقف تطعيم الأطفال سوف ينتج أطفالاً معوقين أو مرضى.

– الاختلال في كل جوانب الحياة وآثاره النفسية والمعنوية والسلوكية العامة.

– نسبة كبيرة من اللاجئين أطفال وليس لهم أي برامج تعليمية.

– الافتقار إلى المنظفات والمطهرات.

– آثار سوء التغذية وضحت على اللاجئين والمقيمين داخل البوسنة رغم حداثة القضية.

– ومع ذلك فإن الكثير من اللاجئين الذين لجأوا خوفاً من استمرار القتال وضـراوته يعـودون إلى أراضيهم حيث يفضلون العيش في أوطانهم تحت الخطر عن البقاء تحت هذه الظروف.

* * *

الأضرار المتوقعة
التي تلقي ظلالاً رهيبة على المستقبل

١– نزوح الأطفال وأثرة في تغيير الدين.

٢– الأطفال الباقون يعانون من عدم توافر الحد الأدنى للحياة الآدمية.

٣– الآثار النفسية والسلوكية على مشاهدة المأساة بأعينهم.

٤– فراق الأهل وضياع الدنيا.

٥– المستقبل المجهول.

٦– الآثار النفسية والسلوكية في حياة التجمعات بهذه الطريقة اللاإنسانية.

٧– المناخ غير الصحي الذي ينبئ بحدوث أمراض.

٨– غياب الرعاية الصحية الأساسية للأمهات والأطفال.

٩– غياب الرعاية التعليمية للأطفال.

١٠– الإحساس العميق بالمرارة من تنكر العالم لهم وخصوصاً العالم الإسلامي.

وكما يقولون فإن المشكلة تتبلور عندهم في:

هل يكون هناك إسلام أو لا يكون؟

وهل تظل أرضهم إسلامية؟ أولا: ؟

والأندلس ليست ببعيدة ..!!

* * *

التصور المستقبلي

– العمل على تقديم جميع الاحتياجات على جميع المستويات نظراً لغيابها من الألف إلى الياء وهذا ما لمسناه بأنفسنا.

– ضرورة أن تقوم اللجنة بتسويق القضية على كل المستويات المحلية والعالمية.

– ضرورة وجود مندوبين من ذوي الخبرة للجنة في ميدانا لعمل في "البوسنة".

– مهمة القيام بالإجراءات التنفيذية حسب المتاح مع الاهتمام المطلوب حسب الأولويات مع الاهتمام بالرعاية الطبية والصحية والمساعدات الإنسانية.

– ضرورة وجود مكتب للجنة في كل من زغرب ـــ سبليت ـــ زينتسا ـــ "سرايفو" بعد توقف القتال إن شاء الله.

– الاهتمام بإيجاد أماكن إيواء مناسبة.

– محاولة وقف نزوح الأطفال من بلادهم البوسنة.

– ضرورة وضع خطة صحية مع الاهتمام بالرعاية الصحية للأمهات والأطفال.

– التنسيق مع هيئات الطوارئ بالبوسنة (المرحمة) ومع الهيئات الإسلامية الموجودة مثل:

– هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية.

– رابطة العالم الإسلامي.

– اللجنة الإسلامية المشتركة بالكويت.

– جمعية الإصلاح الاجتماعي.

– جمعية الإصلاح الاجتماعي بالإمارات.

– الندوة العالمية للشباب المسلم.

– بنك التنمية الإسلامي.

– هيئة الإغاثة الخيرية بالإمارات.

– الإغاثة الإسلامية ـــ بريطانيا.

– العون الإسلامي ـــ بريطانيا.

* * *

ما قامت به اللجنة حتى الآن

– تجهيز ٣ عيادات طبية للعمل مع اللاجئين في سبليت مع إعداد عيادات أخرى في زغرب.

– شراء أدوية وأجهزة طبية لتفي بحاجة المستشفى الوحيد المتبقي.

– شراء كمية من الأغذية المحفوظة للاجئين بداخل البوسنة.

– إنشاء مكتب للهيئة بزغرب ـــ إعداد مكتبين سبليت ـــ زينتسا.

– شراء سيارتين إسعاف لنقل الجرحى.

– الإشراف الفني على قافلة سيارات الإسعاف التي شاركت الهيئة الإسلامية في شرائها.

– شراء منظفات لأماكن إيواء اللاجئين لحاجتهم الشديدة إلى ذلك.

– تقديم المساعدات لبعض الحالات الطارئة ممن خرجوا بلا ملابس وغير ذلك من الاحتياجات الأساسية.

– العمل على تجهيز بعض أماكن الإيواء بالاتفاق مع وزارة الدفاع الكرواتية حيث عرضت وزارة الدفاع الكرواتية تسليم الثكنات الخاصة بالجيش الاتحادي اليوغوسلافي السابق للهيئات الإغاثية مقابل أن تقوم كل هيئة بترميمه وتجهيز الثكنات التي ستشرف عليها بعد إيواء اللاجئين بها وكل ثكنة تستوعب حوالي ٥٠٠٠ لاجئ وتصلح لهم صيفاً وشتاء.

ولكن بالنظر لحجم الاحتياجات مقابل المتاح لدى لجنة الإغاثة الإنسانية والمعروض من اللجان الإغاثية الأخرى نجد أن الاحتياجات هائلة وأن المتاح يعتبر أقل القليل وقد وضح أن عصب هذه القضية هو المال.

ولذلك فعلينا عبء كبير في أن نحث القلوب الخيرة وأن نحرك المشاعر الإسلامية لدى الجميع حتى نستطيع أداء الدور المطلوب منا تجاه هذه المأساة الرهيبة التي يعجز العقل الإنساني عن تصورها واستيعابها.

* * *

هل قضت المذابح على هوية هذا الشعب؟

أ– تمهيد

وبالرغم من هذه الصور، التي لا تمثل سوى جزء يسير .. يسير .. من هذه المأساة، التي يعانيها هذا الشعب المسلم ..!!

وبالرغم من المطاردات والملاحقات ومحاولات محو هويتهم ــ عبر القرون ــ مما أكسبهم عادات وتقاليد بعيدة عن الإسلام، وجعلهم قليلي المعرفة به ..!!

فإن هناك صورة مضيئة من جهاده دالة على صموده وإصراره على النصر أو الشهادة.

كما أن هناك ــ كذلك ــ صوراً مضيئة من توجهه الإسلامي، وشوقه الشديد لمعرفة هذا الدين، والالتزام بأحكامه.

كما أن هناك ــ من جهة ثالثة ــ أبطالاً إسلاميين خلقتهم وكشفت عنهم هذه المذابح.

مما يدل دلالة قوية وقاطعة على أن هذه المذابح لم تؤت أكلها، ولم تنه هذا الشعب، ولم تمنع توجهه الإسلامي ولم تطمس هويته، بل إنها زادته ارتباطاً بدينه، وتمسكاً بعقيدته، ورغبة في معرفة هدي الإسلام وأحكامه.

وليس هذا بغريب على شعب مر بالعديد من المذابح وفتحت له السلخانات، عبر مراحـــل تاريخـــه، وتقلبات الجزارين على حكمه.

ولو لم يكن الصمود، وحب الجهاد للدفاع عن العقيدة والعرض والأرض والشرف: يجري دمـــاً في عروقه، إصراراً في تكوينه وأملاً في نصرة دينه، وحرصاً على الشهادة من أجله؛ لما بقى حتى اليـــوم يحمل: عقيدة قوية، وأخوة للمسلمين واعية، وتغلباً على الأزمات، وانتصاراً عليها.

وإن فيما نعرض بعضاص مما يصور هذا وذاك، على النحو التالي:

ب- إسلامية المعارك

لقد جعل مسلمو "البوسنة والهرسك" معاركهم للدفاع عن أنفسهم وعقيدتهم ضد جلاديهم: معارك إسلامية في الأسلوب والغايات.

وكان ذلك واضحاً خلال الإعداد للاستفتاء على استقلال بلادهم.

كما كان واضحاً ــ كذلك ــ خلال المذابح التي حلت بهم.

فقد شارك فيها العلماء بجهد ملحوظ مؤثر حينما نشطت "المشيخة الإسلامية" عبر العلماء والأئمـــة لتمارس نشاطها الإيجابي في هذه المرحلة.

إذ أصدر الشيخ "أحمد صالح جولاكوفيش" رئيس المشيخة الإسلامية، نداء إلى المســـلمين في كـــل البوسنة، طالبهم فيه بالمشاركة في الاستفتاء، وحثهم على التصويت إيجابياً لصالح الاستقلال، واعتـــبر ذلك واجباً دينياً، وعليهم أن يؤدوه.

كما كانت خطبة الجمعة ــ في كل المساجد قبل يوم من الاستفتاء، في كل الجمهورية ــ حول هذا الموضوع، حيث قام الخطباء بشحذ همم الناس في هذا الأمر بطريقة جديدة، أتت تمارسها فيما بعد.

وفي مساء الجمعة ــ أي ليلة الاستفتاء ــ نظمت صلاة الغائب على أرواح ضـــحايا الحـــرب مـــن المسلمين، الذين أرغموا عبر الجيش على المشاركة فيها، أو الذين أصيبوا من الاعتـــداءات الصـــربية، والذين بلغوا في الشهر الأخير فقط (فبراير ١٩٩٢م) ٢٢ ضحية.

كما عقد رئيس المشيخة الإسلامية مؤتمراً صحفياً صرح فيه قائلاً: "هذا الاستفتاء لا يحســـم فقـــط مستقبلنا السياسي، وإنما الديني كذلك، وأنه قد آن الأوان ليؤدي المؤمنون دورهم"[٣٥].

وحينما افتعلت "الحرب الأهلية" كستار للمذابح ..!!

بل حينما كشفت ــ كذلك ــ هذه المذابح عن قذارة أسلحتها:

لم تكن الصورة كلها ــ في جانب المسلمين بالرغم من ضراوة المذابح ــ قاتمة.

إذْ ظهر الوجه الإسلامي المجاهد المشرق من خلال: الحصار، والمجاعة، والقتل ، والتشريد.

ففي تحقيق نشرته الشعب لمحررها الذي أرسله من ميادين المذابح في "البوسنة والهرسك": أفاد كاتب التحقيق "أنه شاهد الإسلام يولد من جديد في هذه الديار، بين الأشلاء، والأنقاض، وفي الملاجئ على ألسنة الثكالى واليتامى والعجائز والأطفال، كما رآه على جباه المجاهدين في مواقع القتال".

حيث يقول: بالرغم من ندرة السلاح في أيدي المسلمين وحاجتهم الشديدة غليه، فقد استطاعوا أن يحققوا انتصارات مذهلة على عدوهم في ميادين القتال.

فمدينة "موستار" ـ على سبيل المثال ـ تلك المدينة الأثرية الهامة بوسط البلاد، عادت إلى أهلها مرة أخرى ثالث أيام عيد الأضحى ١٤١٢هـ، بعد هجمات مباغته ومنظمة للمجاهدين المسلمين، الذي كانت صيحاتهم "الله أكبر" خلالها تزلزل الصرب المتوحشين، وتجعلهم يفرون منها كالفئران، مخلفين وراءهم كميات كبيرة من الأسلحة، وعشرات من القتلى والأسرى.

وكذلك: مدينة "درفنتا" التي تم تحريرها حديثاً يشرح أحد قوادها "يوسف أسعد" وهو شاب في الأربعينات من العمر، خطة الصرب في الدفاع عن البلاد التي يحتلونها، ويكشف عن كيفية إجلاء المسلمين للغزاة عنها واستردادها.

يقول: تتمثل خطة الصرب الحربية في ثلاثة خطوط دفاعية، الخط الأول: من أهل المدينة يستخدمونهم كجدار بشري، فإذا سقط: كان هناك الخط الثاني، في الميليشيات "تشكنيك" فإذا انهار: كان الخط الأخير، وهو الجيش الذي يكون قد أخذ استعداده كاملاً.

ثم يقول: ومع كل هذه الاستحكامات، قد استطعنا بفضل الله، ثم بأسلحتنا البدائية، روحنا الإستشهادية أن نحاصر المدينة من جميع الجهات، وأن نباغتهم بصيحات "الله أكبر" التي شلت حركتهم، وجعلتهم يتساقطون في نهر "البوسنة" الذي يمر بالمدينة، وتم استرداها[٣٦].

ومع أنه ليس في جمهورية "البوسنة" جيش منظم يدافع عنها، إلا أن الذين هربوا منهم بأسلحتهم الخفيفة من الجيش الصربي استطاعوا أن يشكلوا فيما بينهم نواه جيش مسلم، انضم إليه المتطوعون من أنحاء البلاد ..!!

ومع أن الهوة ـ كذلك ـ واسعة بين الجيش الصربي بأسلحته الثقيلة المتقدمة، وبين الجيش المسلم بأسلحته البسيطة القليلة جداً ..!!

أقول: مع هذا وذاك وغيرهما..!!

فإن حب الإسلام قد تمكن من قلوب الناس، وجعل المعارك إسلامية للدفاع عن العقيدة وبقاء أهلها، ولو كلفهم ذلك حياتهم.

ويؤكد ذلك ما يحكيه الأستاذ شعبان عبد الرحمن في تحقيقه، قائلاً: في مدينة "تزلا" ـ ٣٠٠ ألف نسمة ـ قد أفتى مفتي المدينة أن الذي يفر منها من الرجال يعتبر خارجاً عن الإسلام.

فثبت كل رجالها، ورغم أن الصرب يحاصرونها ــ منذ شهرين ــ من فــوق قمــم الجبــال إلا أن المسلمين لا يزالون صامدين ، و لم يتمكن الصرب من اقتحامها [٣٧] بسبب هذه الفتوى، التي أحالت الحصار إلى معارك إسلامية.

وبسبب إسلامية المعارك: فإنه مع ندرة السلاح، قد تم تحرير كثير من المدن التي احتلتــها القــوات الصربية، مثل: مدينة "بوسنانس كيبروت" و"كوليبة" و"جورينا قوليب" و"دوني قوليب" و"درفنتــا" و"بودويتش" ..الخ[٣٨].

وبسبب إسلامية المعارك: فقد أسس "يونس هاشجتش" رئيس الحزب الإسلامي في مدينة "بوسنسكة بيته" بالبوسنة والهرسك، منظمة "زماي" لإعداد المجاهدين المسلمين من مختلف المدن.

وهؤلاء المجاهدون: يعرفون باسم "الطواقي الخضراء" ويتلقون تدريبات قصيرة، ينطلقون بعــدها إلى ساحات الجهاد.

وقد صرح مؤسس هذه المنظمة بهدفها قائلاً: لأن الحرب تشن علينا باسم الصليب، ينبغي أن نرفــع راية الجهاد الإسلامي[٣٩].

ج- إسلامية التوجه

ويتضح ذلك جيداً: فيما أعلناه رئيس البلاد علي عزت بيجوفيتش أيام الاستفتاء على الاستقلال.

إذْ قال في إعلان إسلامي مستقبلي صارم: "لقد انتهى إلى الأبد ذلك الآوان الذي يتقرر فيه مســتقبل البوسنة دون إرادة مسلميها".

وكأنها دعوى ليست تخص الاستفتاء فقط ــ إذْ هي الظروف التي قيل فيها ذلكــ بل دعوى لتوجه عام بعد كبت وقهر طال في حرمان من الدين وإظهار الانتساب إليه والتوجه نحوه.

وكان هذا التوجه: هو الذي يعبئ الشعور لدى المجاهدين المسلمين في دفاعهم عن دينهم وبلادهــم وأعراضهم.

وكان هذا التوجه هو الذي لاحظه في مخيمات اللاجئين: محرر جريدة الشعب.

حينما رآهم يتدافعون للتعرف على الإسلام.

ففي ملجأ الصالة الرياضية، بمدينة "سبليت" ــ على سبيل المثال ــ استوقفته مجموعة من الفتيــات، كان طلبهن منه، إرسال من يعلمهن الإسلام.

وهذا الرجل المسن "محرم" الذي يقول: عشت تحت الشيوعية خمسين سنة من عمري، ومــا رأيــت الناس تعود إلى الإسلام بهذه الرغبة الشديدة مثلما يحدث هذه الأيام.

ويقول: منذ خمسين سنة، كان أقصى ما يعرفه الناس (بسم الله الرحمن الرحيم) ولكنهم بدأوا اليــوم يحفظون القرآن، ويرتدون الحجاب، وحتى الصغار بدأوا يسألون عن الإسلام.

وهذه "هدية بوسكايلو شيكو" ـــ ٢٥ سنة ـــ من مدينة "موستار" عاصمة "الهرسك" والتي أتمت قبل الحرب دراستها الإسلامية في كلية: الدراسات الإسلامية "بسراييفو".

تقوم هدية بتعليم ما يزيد على ٢٥٠ طفلاً القرآن وقواعد الإسلام في أحد الملاجئ.

وهي تقول: "إني أفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله، وأملاً في عودة الإسلام إلى بلادي، ولما أتأخر ... وأنا أرى الناس يعودون للإسلام بصورة لم نكن نتخيلها ..؟

فقد كانوا ـــ قبل الحرب ـــ لا يعرفون عن الإسلام إلا اسمه(٤٠).

د- أبطال إسلاميون وسط المذابح

نوقن أن بطولة هذا الشعب الذي حطت على أكتافه محن العصور، وأقيمت له مذابح الحكام؛ وقـــام منها مرفوع الرأس، عالماً بدينه، محافظاً عليه، متمسكاً بآدابه، مقبلاً على تعاليمه: ليست محل نزاع أو شك من محايد منصف.

وقد كشفت هذه المذابح الأخيرة عن ألوان وأنواع من البطولات: التي يسجلها التاريخ بحروف مـــن نور لضربها المثل في التضحية بالنفس والمال من أجل الدفاع عن الإسلام والمسلمين.

وهذه مثل رائدة مضيئة من هؤلاء(٤١):

١- علي عزت بيجوفيتش "رئيس الجمهورية"

وهو: محام دستوري سابق، وكاتب إسلامي، يقدم من خلال جميع كتاباته العلمية: شرحاً مبســطاً لقضية الإسلامي فكراً ومنهجاً.

وقد ترجمت مؤلفاته تلك، إلى عدة لغات، منها العربية، والتركية، والإنجليزية، والألمانية.

وبالرغم من أنه رجل متمرس على الجهاد منذ سنوات وسنوات، وفي سبيل بلاده وإسلامه ..!!

وبالرغم من أنه يعد من أبرز أعضاء "حركة الشبان المسلمين" التي أسسها الشيخ "محمـــد خـــانجيج" والشيخ "قاسم دوبراجا" في الأربعينات عقب عدتهما من الدراسة في الأزهر الشريف، وتعرفهما على الحركة الإسلامية ضمن صفوف الإخوان المسلمين في مصر ..!!

وبالرغم من أنه عوقب بالسجن ثلاث سنوات في عام ١٩٤٨م بسبب انتمائة لهذه الحركة ..!!

وبالرغم من أنه قد حكم عليه بالإعدام عام ١٩٨٣م ثم خفف إلى الأشغال الشاقة المؤبـــدة بســـبب كتابه "البيان الإسلامي" الذي يشرح نظريته في الحكم الإسلامي ..!!

بالرغم من كل ذلك: فقد كشفت المذابح الأخيرة فيه زعيماً مسلما مجاهداً من الطراز النادر بحنكتـــه السياسية وصلابته الإسلامية، التي استطاع بها أن يفرض هيبة المسلم واحترامه في المحافل الدولية على المستوى الخارجي كما استطاع ـــ على المستوى الداخلي ـــ أن يكشف ثقة الشعب المسلم كله ـــ في "البوسنة والهرسك" ـــ مما مكنه أن يعبئ قواها، وأن يحرك ساكنها: خلال مرحلة الاستفتاء، وأن يوظف هذه القوى لصالح البلاد والإسلام خلال المعارك أفضل توظيف.

وقد ساعد على ذلك: أن الشعب كان يجده بجواره في أحلك اللحظات، كما كانت أبوابه مفتوحـــة ـــ دائماً ـــ لرجل الشارع العادي.

مما نتج عنه: أن الشعب التف حوله ، وتلاحم معه، وتلاحمت طوائفه بسبب ذلك مع بعضها البعض في صورة تعينه على اجتياز المحن رغم ضراوتها.

٢- علماء الدين

الذين كان لهم: الباع الطويل، والدور البارز في بث روح الصمود، وتصحيح مسيرة التوجـــه لـــدى أبناء هذا البلد.

مما ساعد على اكتشاف: حب الإسلام، والرغبة في نصرته، بعد تغييب طال عنه.

وكذلك: تفجير الطاقات الدينية الكاملة لدى هذا الشعب.

مما أعان على: الصمود، وقوة المجابهة، والتصميم على إحراز النصر.

هؤلاء العلماء: الذين لم يجبنوا، ولم يبتعدوا عن ساحات المعارك، ولم يبخلـــوا بمشـــاركتهم القوليـــة والفعلية في ميادين الجهاد.

وهذا مثل منهم:

الشيخ "أحمد صالح جولا كوفتش" رئيس المشيخةا لإسلامية الذي عبأ الناس وشحذ هممهم، ودعاهم باسم الإسلام للتوجه إلى صناديق الاستفتاء، بجميع الصور والذي شارك من أجل ذلك في المـــؤتمرات واللقاءات الكثيرة في الداخل والخارج.

٣- الأستاذ "رشاد ميكوتشي"

نائب رئيس الحزب الإسلامي في مدينة "سلافونسكي برود".

الذي وضع كل ماله في خدمة الجهاد الإسلامي ورفض ترحيل أسرته أو أطفاله، مع أنه هدف مـــن أهداف الميلشيات الصربية.

والذي يقول: مهما ذبحوا منا وقتلوا، فسنستمر في حربنا دفاعاً عن ديننا حتى النهاية، ولن نستســـلم لأحد مهما حيكت حولنا وضدنا المؤامرات.

والذي كان دائم الحركة كثير التنقل بين صفوف المجاهدين يساعدهم ويؤازرهم ويقاتل معهم.

٤- الأستاذ يونس هاشجتش

رئيس الحزب الإسلامي في مدينة "بوسنسكة بيته"

والذي كان من كبار الأثرياء في "البوسنة".

والذي كان دفاعه عن دينه، وعن الموحدين في بلده سبباً في كيد الصرب له وحملتهم عليه؛ إذ قـــاموا بحرق قصره الكبير. ومتاجره الواسعة.

والذي فقد ابنه الأكبر، ولا يعرف هل هو حي أو ميت ..؟

ولكن كل هذا لم يزحزحه عن غيمانه، و لم يؤثر في عزيمته على مقاومة الصليبيين.

لأنه لم يقنط لحظه واحدة؛ ليقينه أن كلمة الله ستنتصر في النهاية.

وحتى زوجته كذلك.

بل إنها كانت تشارك في القتال.

فقد قامت ـــ ذات مرة ـــ بإلقاء قنبلة يدوية على إحدى الدبابات الصربية، فدمرتها.

٥- القائد المسلم "أرمين طاهر"

الذي ما إن يسمع بقرية مسلمة يحاصرها الصرب: إلا ويهب برجاله، ويدخل تلك القريـــة، ويقـــوم بتأمين أهلها.

والذي أصبح أهل كثير من القرى: يحسون بالأمان لوجود هذا القائد الشجاع بالقرب منهم.

٦- سارة فيتش

عضو الحزب الإسلامي في البوسنة.

التي خرجت من "سراييفو" تاركة أسرتها فيها، من أجل أن تساهم في تأمين قوافل المهاجرات.

والتي تدخل وتخرج من "سراييفو" لمهماتها عبر طرق سرية؛ لإيجاد نوع من الاتصال بـــين العاصـــمة والمهاجرين.

والتي تساهم ـــ كذلك ـــ في إحضار المتطوعين للجهاد.

٧- القائد المسلم "يوسف أسعد"

الذي اكتشف خطة الصرب في الدفاع عن البلاد التي يحتلونها من أهلها في "البوسنة".

والذي تمكن بسبب ذلك من إجلائهم عن كثير من المدن والقرى التي قد احتلوها.

٨- الفتاة "مديحة هزانوتشى"

العروس ذات الـــ ٣٤ ربيعاً.

والتي كان مقرراً لها ـــ يوما ما ـــ أن تتزوج في الأسبوع المقبل.

والتي قتل الصرب في وحشية والدها عالم الدين؛ ووالدتها وخطيبها وشقيقتها الصـــغرى وشـــقيقها الصغير.

والتي ما إن أفاقت من صدمة رؤيتهم مذبوحين وممددين بجوار بعضهم البعض، حتى نشرت علـــيهم ثوب زفافها تواريهم به وكأنها تكفنهم فيه.

* * *

إلى آخر هذه الصور والبطولات التي سوف يسجلها التاريخ نوراً مضيئاً للمسلمين، وعاراً على جبين الأنظمة الغربية، وحضارتها العمياء.

هذه الصور: التي تحتاج إلى تسجيل ودراسة تكشف عن جميع جوانبها ودلالاتها .. الخ.

*   *   *

---

(١) "المدخل" لهذا الكتاب.

(٢) انظر: العالم في ١٩٩٢/٣/٢١م ص٣١.

(٣) العالم في ١٩٩٢/٣/٢١م ص٣٠.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) العالم ١٩٩٢/٣/٢١م ص٣٠.

(٦) انظر: ص١٢٩.

(٧) الأهرام ١٩٩٢/٥/٢٩م.

(٨) الأهرام ١٩٩٢/٥/٢٩م ص١، "المساء" ١٩٩٢/٦/٦م.

(٩) الأخبار ١٩٩٢/٦/٣م وصل القتلى في ١٩٩٢/٧/١م إلى خمسين ألف قتيل.

(١٠) محمد علي إبراهيم المساء ١٩٩٢/٦/١٤م ص٢.

(١١) محمد علي إبراهيم المساء ١٩٩٢/٦/١٤م ص٢.

(١٢) شعبان عبد الرحمن الشعب ١٩٩٢/٦/٢٣م ص٦.

(١٣) شعبان عبد الرحمن الشعب ١٩٩٢/٦/٢٣م ص٦.

(١٤) شعبان عبد الرحمن الشعب ١٩٩٢/٦/٢٣م ص٦.

(١٥) شعبان عبد الرحمن الشعب ١٩٩٢/٦/٢٣م.

(١٦) محمد علي إبراهيم المساء ١٩٩٢/٦/١٤م ص٢.

(١٧) "الأخبار" عدد ١٩٩٢/٥/٢١م.

(١٨) "المساء" ١٩٩٢/٦/١٤م.

(١٩) إبراهيم نافع "الأهرام" ١٩٩٢/٥/٢٩م ص٣ وقد وصل هذا العدد إلى مليون و٣٠٠ ألف مسلم في ١٩٩٢/٧/١م.

(٢٠) "أخبار اليوم" ١٩٩٢/٥/٣٠م.

(٢١) رسالة "البوسنة والهرسك" من شعبان عبد الرحمن "الشعب" ١٩٩٢/٦/٣٠م.

(٢٢) فراج إسماعيل "المسلمون" ١٩٩٢/٥/١٥م.

(٢٣) "الشرق الأوسط" ١٩٩٢/٦/٣م.

(٢٤) انظر: "الأهرام" ١٩٩٢/٥/٢٩م، و"المساء" ١٩٩٢/٦/٦م.

(٢٥) فراج إسماعيل "المسلمون" ١٩٩٢/٥/١٥م ص٧.

(٢٦) المسلمون ١٩٩٢/٥/١٥م.

(٢٧) وكالات أنباء (انظر الأهرام المسائي ١٥/٦/١٩٩٢م).

(٢٨) الأهرام ٢٢/٦/١٩٩٢م (صندوق الدنيا).

(٢٩) فراج إسماعيل العدد (٣٨١) في ٢٢/٥/١٩٩٢م.

(٣٠) العدد (٣٨١) في ٢٢/٥/١٩٩٢م.

(٣١) شعبان عبد الرحمن "الشعب" ٣٠/٦/١٩٩٢م، وانظر كذلك تقرير وفد لجنة الإغاثة ص١٢١.

(٣٢) انظر "المسلمون" العدد (٣٨٠).

(٣٣) شعبان عبد الرحمن "الشعب" ٣٠/٦/١٩٩٢م.

(٣٤) إبراهيم نافع "الأهرام" ٢٩/٥/١٩٩٢م ص٣.

(٣٥) العالم ٢١/٣/١٩٩٢م.

(٣٦) الشعب ٣٠/٦/١٩٩٢م.

(٣٧) الشعب ٣٠/٦/١٩٩٢م.

(٣٨) المصدر نفسه.

(٣٩) المسلمون ٢٢/٥/١٩٩٢م.

(٤٠) الشعب ٣٠/٦/١٩٩٢م.

(٤١) انظر العالم ٢١/٣/١٩٩٢م، المسلمون ٢٢/٥/١٩٩٢م.

الفصل السادس

مواقف العالم

- تمهيد.
- العالم المتحضر ..!!
- الأمم المتحدة والشرعية الدولية.
- العالم الإسلامي.

تمهيد

ترددت طويلاً ـــ عزيزي القارئ ـــ حول كتابة هذا الفصل ..!!

هل في كتابته فائدة ..؟

حيث إن موقف العالم كله ـــ وهو موقف مخز آثم ـــ يعلمه القاصي والداني، وليس له تأثير يـــذكر بالخير في وقف هذه المذابح أو تقليلها ..!!

كما أنه موقف يختلف اختلافاً فاضحاً عن موقفه في "أزمة الخليج" الذي حركته فيه المطامع والمصالح والأهواء، وبشكل جدي حازم وسريع ..!!

خاصة: أن كل هذه المذابح التي خطط لها بليل، ونفذت وتنفذ بوحشية وقوة لم يشهد التـــاريخ لهـــا مثيلاً، والتي تهدف إلى إبادة المسلمين في "جمهورية البوسنة والهرسك": تتم على مرأى ومسمع مـــن هذا العالم كله، ولم يعد خافياً ما يجري لأهل هذه البلاد على أحد، بل لقد شارك هذا العـــالم كلـــه فيها، بسلبيته نحوها، وصمته على ما يجري فيها، واستنكاره الهزيل لما يفعله المعتدون الغاشمون.

ومع ذلك: فضلت أن اكتب على إيجاز من باب:

تسجيل المواقف أمام التاريخ ـــ الذي يتفنن الكثيرون في تزييفه ـــ حتى لا ينسى أبناء ديـــني هـــذه المواقف، أو يزيفها ويزينها المغرضون.

وكذلك الحفاظ لأهل "البوسنة والهرسك" بحقهم في تسجيل انفرادهم وسط الأهوال والمذابح، الـــتي نزلت بهم، دون أن يتحرك لهم في الوقت المناسب أحد، أو يدفع عنهم الأذى ـــ كما حـــدث مـــع غيرهم ـــ أحد.

وذلك بالرغم من أن الرئيس "علي عزت" قد أكد وتعهد أمام دول المجموعة الأوربية قبل اعتـــرافهم باستقلال بلاده أنه لن يشرع في إقامة حكم إسلامي يتجاهل فيه حقوق إرضاء الأقلية الصربية(١).

حيث إن الإعلام الغربي حرص على إثارة المخاوف لديهم، حينما صار يردد أن الزعيم المسلم " علي عزت" يسعى لبناء دولة أصولية متطرفة في قلب أوربا(٢).

وسنحاول في هذا الفصل ـــ بعون الله ـــ أن نقسم العالم إلى ثلاث فئات

أ- العالم الذي يدعي التحضر والتقدم، ومعه بالطبع مؤسساته وهيئاته.

ب- الأمم المتحدة وما تدعيه من شرعية دولية تحرسها لأصحابها وتحافظ ـــ بما تملك ـــ لهم عليها.

ج- العالم الإسلامي.

الذي يبلغتعداده أكثر من ربع سكان المعمورة.

والذي يتعبد لله تعالى بالحديث الشريف(٣): "انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً" قالوا يا رسول الله: ننصـــر إن كان مظلوماً، فكيف ننصره إن كان ظالماً ...؟ قال: "تمنعه عن ظلمه".

والذي شاركت منه ست دول بما فيها " باكستان ومصر والمغرب وسوريا" بقواتها ـــ يوماً ما ـــ في أزمة الخليج، وانضمت للتحالف الذي تزعمته "أمريكا" ضد العراق، فيما سمي بـ"عاصفة الصحراء"!!

* * *

العالم غير الإسلامي ..!!

إن المفتاح الذي يكشف سياسة هذا العالم تجاه مشاكل الدول الأخرى، ومن بينها "جمهورية البوسنة والهرسك". هو ما صرح به "نيكسون" الرئيس الأسبق للولايات المتحدة الأمريكية قائلاً: "إن المصالح ـــ وليس المثاليات ـــ هي التي تدفع الدول للتعاون"(٤).

وبهذا الفهم ندرك بادئ ذي بدء:

لماذا أدار العالم ظهره لهذه المشكلة، وأصبح موقفه منها موقف "الحاضر الغائب" كما تعلق "صينون ووكر" المساعدة بأحد معاهد السلام الدولي(٥).

وثانياً: سر الاختلاف في موقف هذا العالم، بالنسبة لـ"لجمهورية البوسنة والهرسك" عنه بالنسبة لـ"الكويت" فيما سمي بـ"أزمة الخليج".

وثالثاً: سر رفض مسئولي "وزارة الدفاع الأمريكية" عقد أي مقارنة بين ما يجري في "سراييفو"، وما جرى من قبل ـــ في حرب الخليج(٦).

كما ينبغي أن نلاحظ أن إعلام هذه الدول أخذ في تحويل أنظار العالم شيئاً فشيئاً عن مشكلة المسلمين جميعاً وما يجري لهم من تشريد جماعي، وتذبيح في السلخانات على مستوى جمهورية "البوسنة والهرسك" إلى مدينة "سراييفو" وكأن المشكلة على هذا النحو تنحصر في مدينة "سراييفو" فقط، بل أخذ كذلك في التركيز على جزء من مدينة "سراييفو"، وهو "المطار" وكأن المشكلة بذلك تنحصر في مطار "سراييفو" فقط. وأنه: بفتح هذا المطار،ووصول الإعانات الإنسانية من أطعمة وأدوية: يكون كل شيء قد انتهى، والمشاكل قد حلت.

ومن جهة أخرى: أخذ هذا الإعلام كذلك ـــ في التركيز على شخص بعينه، وتحويل الأنظار إليه، وكأنه المسئول الوحيد عما يجري للمسلمين من تشريد جماعي، وتذبيح في "السلخانات" على مستوى "جمهورية البوسنة والهرسك" إيهاماً للبُله السذج من المسلمين على مستوى العالم، والذين قد يخشى منهم ـــ أقول : قد ـــ وهي للتقليل ـــ أن يفكروا في شيء أي شيء ..!!

إيهاماً لهم أن في إزاحة هذا الشخص عن السلطة إنهاء للمشاكل، وثأر للأصحاب منه، وهو: جزار الصرب "سلوبودان ميلوسيفتش"

حيث تفتعل المظاهرات ضده، مطالبة باسقاطه ..!! "أي والله ..!!"

وفي الحقيقة: أنه لو نظرنا بمنظارهم لعرفنا أن المشكلة بالنسبة لهم فعلاً قد حلت.

إذّ قد تم تهجير ١,٣٠٠,٠٠٠ مسلم من جمهورية "البوسنة والهرسك".

كما تم تقتيل ٥٠,٠٠٠ مسلم منهم كذلك.

ومن جهة ثالثة: فقد احتل الصرب بالسلاح جزءاً كبراً من أراضيهم، واحتل الكروات بالدهاء جزءاً آخر من هذه الأراضي.

والباقون الذين هبطت نسبتهم من ٤٥% إلى ٢٤,٦٥% من السكان[٧]، العزل: أصبحوا بلا حـــول ولا قوة، ولا رغبة ولا تفكير في إقامة دولة إسلامية، بعد هذه النكبات، التي تمت بتواطـــؤ الغـــرب الكاثوليكي والشرق الأرثوذكسي.

ولعرفنا كذلك: أنه بات سهلاً تقسيم "جمهورية البوسنة والهرسك" إلى ثلاث "كانتونات" أي أقسام.

قسم للصرب، الذي أصبح يتربع الآن، عن طريق السلاح، والمذابح، والتشريد المتعمد علـــى ٦٥% من أراضي هذه الجمهورية.

وقسم للكروات، الذين يتمركزون بالحيلة والخداع ـــ وإدعاء المشاركة في الدفاع عن المســـلمين في ٣٠% من أراضي الجمهورية.

وبالباقي وهو ٥% تقريباً لما يتبقى من المسلمين.

وهو نفس ما طرحته المجموعة الأوروبية، في بداية الأحـــداث، كصـــيغة تســـوية لرســـم مســـتقبل "الجمهورية".

إذْ اقترحوا: أن تكون "البوسنة والهرسك" دولة موحدة ذات سيادة، على أساس: ثـــلاث وحـــدات إدارية "كانتونات" تحظى بالحكم الذاتي.

غير أن المجاهد "علي عزت بيجوفيتش" فوت الفرصة على "أوربا" وركز على الجانب المتعلق ببقـــاء الحدود الحالية للجمهورية كما هي[٨].

ولعله كان يظن أن الأمر لن يتجاوز المقترحات القولية إلى التنفيذات الفعلية القسرية.

ولعله كان يظن ـــ كذلك ـــ أن الأمر إذا وصل إلى مرحلة الفعل بالقوة: فلن يخـــذل المســـلمون في أنحاء العالم إخوانهم في "البوسنة والهرسك"، إذا ما تعرضوا لأذى، عملاً بحديث النبي صلى الله عليـــه وسلم، الذي يعرفونه لا محالة، والذي سوف يلتزمون به بالضرورة، وهو "المسلمون كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى[٩]"

ولكن: خيب الأوربيون ظنه ..!!

وكذلك: خيب المسلمون ظنه ..!!

* * *

هذا ..

وقد تولد قرارات: أكثر صرامة ..!!

وقد تفرض عقوبات: أشد حزماً وعنفاً ..!!

وقد يحدث تدخل عسكري ..!!

وقد تشارك في هذا التدخل العسكري ـــ إن أريد لها ذلك ـــ بعض الدول الإسلامية ..!!

ثم .. ثم بفتح المطار، وبفك الحصار، وتصل المعونات ..!!

وقد يسقط "سلوبودان".

ولكن! ـــ وبالرغم من كل ذلك لو حدث، أو لم يحدث ـــ فإن النتيجة التي ذكرناها، والتي تمت بمباركة من "الأمم المتحدة" راعية "الشرعية الدولية" وكذلك من: "أمريكا" رافعة لواء صناعة "النظام العالمي الجديد" وثالثاً: من أوربا، بلاد التحضر والرقي المزعوم: أوضحت أكاذيب الأمم المتحدة وخداعها، وتبعيتها، وفشل "النظام" العالمي الجديد، الذي يزفه إلى دنيا الناس، الرئيس الأمريكي "بوش".

وهذا ما أكدته جريدة الـــ "هيرالد تريبيون" في "مناشيت" أحد أعدادها الأسبوع الماضي(١٠).

وسنختار في هذه العجالة بعضاً من هذه الدول والهيئات ـــ كعينة ـــ للدلالة على هذه المواقف المخزية، والمخذلة للعالم الإسلامي ..!!

حتى يفيق ..!!

* * *

١- الولايات المتحدة الأمريكية

التي تدعي "الوحدانية" بين القوى العالمية، والتي تحاول بناء على ذلك صياغة العالم وإعادة ترتيبه في ظل "نظام عالمي جديد" تحلم به، يقوم على وحدانية هذه القوة.

فقد عملت في الاتجاه المعاكس منذ أولى مراحل العدوان الصربي، وعندما كان تبني الاتجاه الصحيح خطًّا، يضمن دماء الجميع، بمن فيهم أبناء القومية الصربية ..!!

إذْ رفضت رسمياً، وعبر بياناتها المذاعة الواضحة: أي إجراء يؤدي إلى "إشعار المسئولين الصرب بعدم الرضا عن سياساتهم المعتمدة على العنف وإباحة دماء الآخرين".

بل إنها انتقدت علناً الموقف الألماني الذي ـــ لم يكن في أفضل حالاته ـــ يتجاوز الاستعراض الإنشائي، وتقديم المعونات الإنسانية للضحايا أو ذويهم(١١).

ولما تجمعت ـــ لدى الإدارية الأمريكية ـــ المعلومات التي تشير إلى تقتيل متعمد يقوم به لاصربيون كيفما اتفق و"على الهوية" بالذات ـــ إذْ يكفي أن يكون الضحيةمسلماً كي يلقى مصيراً بالقتل محزناً، كما مر بنا ـــ: عبرت فقط ـــ بعد صمت طال ـــ عن "شعور بالصدمة".

ولكن هذا التعبير المواسي: لم يدفع الولايات المتحدة لحفظ البقية الباقية من أهل البلاد، من التصفية الجسدية.

إذْ ينفي "بوش" وهو يتابع عن كثب آخر تطورات الموقف: أن تلعب الولايات المتحدة دور "ألشرطي الدولي" قائلاً : إننا لسنا على استعداد لإرسال قوات إلى البوسنة كما نقلت ذلك وكالات الأنباء(١٢).

وكما عبرت "واشنطن" عن موقفها في تصريحات "مارجريت تاتويلر" المتحدثة باسم وزارة الخارجية الأمريكية. عندما قالت: إن الاستراتيجية الأمريكية تضع في اعتبارها، مدى تهديد أحداث البوسنة والهرسك للأمن القومي الأمريكي(١٣).

ولأن الأمن القومي الأمريكي لم يتهدد فعلاً: فقد اتسم الموقف الأمريكي بالتثاقل والتباطؤ والتغافل كذلك.

بل إن "واشنطن" نفسها تعتبر مسئولة عن ترويض موقف المنظمة الدولية، وجعله يتأرجح بين التريث تارة، وبين محاباة الصرب ــ كما سنرى ــ تارة أخرى(١٤)، وبين رفض اتخاذ الإجراءات تارة ثالثة.

مما دعا وزير خارجية "البوسنة والهرسك" د.حارث سيلاديتش أن يصرح في حديث للتلفزيون الألماني كاشفاً دور أمريكا المتباطئ المشبوه، قائلاً: "إن المجتمع الدولي شارك في تحرير "الكويت" وكانت أمريكا هي القوة المحركة لهذا التحالف؛ للدفاع عن البترول، ولكن "البوسنة" ــ للأسف ــ ليست دولة بترولية، لذا فإن شعبها يذبح في "سلخانة المسلمين"(١٥).

* * *

٢– الدول الأوروبية

وهي لا تكن تعاطفاً مع الصربين الأرثوذكس مأخوذة في ذلك بموقف بابا الفاتيكان الكاثوليكي.

كما أنها لا تضمر خيراً للمسلمين بشكل عام بدافع علاقة الخوف التاريخية من الدين الإسلامي، وكذلك الخوف من تنامي هذا "المد الإسلامي" في أوربا بوجه عام، وثالثاً الخوف من ظهور "جمهورية إسلامية أصولية" بشرق أوربا بوجه خاص.

ولذلك: فهي تتمنى توجيه ضربة للطرفين، بمعنى: أن تأكل النار الحطب على شرط ألا يصيب شررها مناطقهم وبلادهم.

ومن هنا: فإنه عندما بدأت جحافل السكان المدنيين تفر من الضربات الصربية العدوانية نحو مناطق "أوربا" الآمنة المجاورة لهم، وأصبح الخطر محدقاً بهذه الدول الأوروبية: على نحو يهدد أمنها السياسي، وأنظمتها الحاكمة، وأصبح احتمال استغلال المعارضة ــ في هذه الدول ــ لقضايا اللجوء السياسي على نحو يثير عواطف دول هذه الحكومات أصبح احتمالاً وارداً، بل قائماً: تحركت دل هذه المجموعة.

ومع ذلك تبقى الخطوات الأوربية في هذا التحرك، بطيئة للغاية، ومتميزة بحرص قوي على الانتباه فقط إلى ضمان مصالحها وأمنها الداخلي، وغير مثمرة لعدم إلحاقها بإجراءات اقتصادية ملموسة وضاغطة، أو عسكرية مخيفة ورادعة.

ولا ينبغي أن يخدعنا قيام هذه الدول بطرد "يوغوسلافيا" من منظمة "الأمن والتعاون الأوربي" أو غيرها، عاجلاً أو آجلاً ..!!

إذْ أنه طرد لدولة أصبحت ضعيفة وعاجزة، بعد أن تفككت عنها الجمهوريات التي كانت تكّون معها اتحاداً "فيدرالياً" (١٦).

وهذا هو التصور المناسب والواقعي لفهم الموقف الأوربي ـــ فيما يرى صاحب البحث ـــ بصفة عامة وإن كانت الأمانة التاريخية، ودقة البحث ومحاولة وضع الأمور في نصابها: تقتضي منا أن نستثني من هذا التعميم بعض المواقف الدعائية البهلوانية المدروسة والمتفق عليها، سلفاً، لبعض هذه الدول.

كما هو الحال بالنسبة "لفرنسا" مثلاً.

ولنركز لنؤكد على ما نذهب إليه من مواقف هذه الدولة، حادثة واحدة ـــ لفتت أنظار العالم كله ـــ على سبيل المثال.

وهي ذهاب الرئيس الفرنسي ميتران فجأة إلى "سراييفو" عاصمة "البوسنة والهرسك" المحاصرة منذ فترة طويلة، وهبوطه في "المطار" المغلق، والذي استعصى فتحه أمام المعونات الإنسانية لهذا الشعب الذي يموت جوعاً بعد أن أكل الأعشاب وورق الأشجار.

هذه الحركة الجريئة: التي لم يقدم عليها أحد قبله، والتي أحيت الأمل، ورسمت البسمة، عند من بقي ـــ من الموت ـــ محاصراً في "سراييفو" والذين ألقوا بالزهور والورود عند قدميه ابتهاجاً به وبما فعله.

هذه الحركة الجريئة: التي لم تكن من أجل عيون المسلمين في "البوسنة والهرسك" ورغبة في إنقاذهم والحفاظ عليهم، بل ما فعلت إلا بعد أن هبطت نسبة السكان المسلمين في "البوسنة والهرسك" هبوطاً مطلوباً، وأصبح الاحتمال في قيام دولة إسلامية أصولية غير ممكن، وأمن العالم الغربي تماماً من أخطارهم ..!!

هذه الحركة الجريئة: التي كانت لسرقة الأضواء من الولايات المتحدة الأمريكية التي انبهر بها ولا يزال العالم العربي والإسلامي، والتي تكتسب ـــ في الوقت نفسه ـــ الرأي العام الإسلامي، خاصة أن المسلمين في "فرنسا" عدد لا يستهان به.

هذه الحركة الجريئة: التي تعد عملاً تبشيرياً لصالح الكنيسة الكاثوليكية حيث إنها تجذب اهتمام هؤلاء المسلمين الجياع المحاصرين، وكذلك المشردين منهم إلى واحد من رعايا هذه الكنيسة، ذهب إليهم في وقت تخلى عنهم فيه الجميع: بمن فيهم: المسلمون، وبذلك يسهل جذبهم وضمهم بمنتهى اليسر والسهولة والهدوء إلى حظيرة "الديانة الكاثوليكية".

(ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق) [١٧].

هذه الحركة:

جاءت بعد أن حقق الصرب ما يريدون، من: احتلال الأرض، وطر المسلمين بالملايين، وقتل البـــاقين منهم بالآلاف.

هذه الحركة غير الجريئة: ماتمت إلا باتفاق مسبق، واتصالات ترتيبية مع الصرب، كما ذكرت إذاعة "لندن" في نشارتها [١٨].

خاصة أن "مطار سراييفو" تحيط به الجبال العالية، ومن مسافات قريبة، ويحتلها الصربيون الذين كانوا يستطيعون ـــ بمنتهى اليسر ـــ منع هذه الحركة، لولا أن هناك اتفاقات سابقة، واتصالات مســـتمرة، لإتمام هذه التمثيلية.

* * *

٣– العصابات الصهيونية

وقد أفردنا هذه بالذكر ليس اهتماماً بشأنها، ولا اعتناء بدورها في الحرب القذرة ..!!

ولكن رغبة في الدلالة على أن اليهود ما أ، يجدوا فرصة لضرب المســـلمين ـــ في أي مكـــان ـــ أو المعاونة على ضربهم، إلا ونفثوا فيها أحقادهم وعدوانهم.

وكذلك للدلالة على تعانق الصليبية مع الصهيونية ضد المسلمين.

يقول تعالى (مايود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل علـــيكم مـــن خـــير مـــن ربكم)[١٩].

ويقول تعالى (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) [٢٠].

وذلك واضح كل الوضوح:

فيما تروجه "الميديا" الصهيونية، المنتشر في كل عواصم الغرب ـــ بكل براعة من أن الخطـــر الأكـــبر الذي يهدد الحضارة الغربية، والمارد الذي خرج من قمقمه ليلتهم كل ما بناه الغـــرب، في ســـنوات طويلة، من: حضارة وديمقراطية، وتقدم[٢١].

وكذلك فيما تقوله تقارير صحيفة مختلفة: من أن عناصر صهيونية وضباطاً أوربيين مرتزقة، يشاركون في المعارك بالدعم والتوجيه والقيادة، ضد مسلمي هذه الجمهورية[٢٢].

وثالثاً: فيما ذكرته مصادر وثيقة الإطلاع، من أن إسرائيل:

أ– أمدت القوات الصربية بأسلحة: متطورة، تشمل على: مدافع بعيدة المدى، وعربـــات مصـــفحة، وصواريخ متوسطة المدى، وأكثر من مليون صندوق للذخيرة متعددة الأنواع.

ب- اتفقت مع وفد صربي ــ قام خلال الإسبوع الماضي بزيارة "الكيان الصــهيوني" في الأراضــي المحتلة، استقبله فيها وزير الدفاع الإسرائيلي وبحث معه سبل توفير جميع الاحتياجات الصربية، لمواصلة حملات الإبادة ضد المسلمين في "البوسنة والهرسك" ــ اتفقت مع هذا الوفد على:

١- مساعدات تتجاوز قيمتها "٦٠٠ مليون" دولار.

٢- خط سير وصول صفات الأسلحة الإسرائيلية إلى القوات الصربية.

٣- توفير عشرات الألوف من "المسدسات" صغيرة الحجم "صناعة إسرائيلية" لاســتخدامها في الحماية الشخصية لعناصر القوات الصربية.

ج- أعطت للصرب تعهدات بتقديم جميع أنواع الدعم؛ للتغلب على قرارات الحظر الدولي التي قررها الأمم المتحدة أخيراً ضد الصرب.

د- تتولى شراء احتياجات الصرب من الأسواق العالمية، وتقوم بنقلها إليهم بعد ذلك[٢٣].

وصدق الله العظيم (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا والذين أشركوا) [٢٤].

* * *

٤- الكنائس

وسوف نشير إلى دور الكنائس الكاثوليكية والكنائس الأرثوذكسية، الذي استم بالصمت الآثم، على ما يجري ضد المسلمين من مذابح وتشريد، كما اكتسى بالتسابق والتنافس على اختطاف أكبر قــدر من أفراد هذه الغنيمة التي تركها أصحابها، وتخلوا عن الدفاع عنها.

أ- فهذه هي الكنائس الأرثوذكسية:

أصدرت الفتاوى التي تبيح فيها اغتصاب النساء المسلمات اللائي يمسكون بهن في معسكرات السبايا بعد أن لم يستطعن الهرب ــ لكن من يدين بالديانة المسيحية الأرثوذكسية[٢٥].

كما سمحت للحزب القومي الصربي ــ حسب ما ذكرناه سابقاً ــ بتوزيع منشورات تدعو للتنصير تحت التهديد والإكراه، مكتوب فيها "عودوا إلى حظيرة الرب، حتى لا يسري عليكم الأمر المقدس" الذي هو الذبح[٢٦].

وفي الخط نفسه: التزمت "الكنائس الأرثوذكسية" في الشرق، الصمت إزاء هذا الذي يجري للمسلمين في "البوسنة والهرسك" حيث يمارس الصرب الأرثوذكس إبادة المسلمين، بينما الأرثوذكس العــرب يعيشون في بحبوحة وأمان، وسط مجتمعات المسلمين[٢٧].

ب- وهذه هي الكنائس الكاثوليكية:

هي الأخرى: تلتزم الصمت إزاء ما يجري من مذابح للمسلمين، بينما تحرك "البابا الكاثوليكي" على وجه السرعة، وانتقل من مقره البابوي إلى المجر، حينما استشعر الخطر على الكروات الكاثوليك مــن الصرب الأرثوذكس.

بل إنها ـــ بدورها ـــ انتهزت الفرصة لكسب المزيد من هؤلاء المسلمين خـــلال محنتـــهم لضـــمهم لصفوفها.

فقد أعلن مسئول الفاتيكان في "مؤتمر زغرب للإعانات الإنسانية": أن "الكارتياس" العـــالمي، وهـــي منظمة كنسية تنصيرية، تقدم خدماتها لهؤلاء اللاجئين، من خلال ١٩٢ لجنة تابعة له[٢٨].

* * *

الأمم المتحدة

إن موقف الأمم المتحدة بخصوص مذابح المسلمين في جمهورية "البوسنة والهرسك" يكشف ـــ بجـــلاء وبما لا يدع للشك مجالاً ـــ كذب الإدعاء بحماية "الأمم المتحدة" للشرعية الدولية، كما يشير بقـــوة إلى شبهة التواطؤ الواضح الآثم بين النظام الصربي الأرثوذكسي المتوحش وبين الأمم المتحدة والأمـــين العام للأمم المتحدة.

حيث اختلف فعل هذه المنظمة ـــ التي تكيل بمكاييل عديدة ـــ حيال هذه المذابح عنه حيال المخاوف على بترول الخليج "مثلاً"

كما اختلف فعل هذه المنظمة عندما اعتدى الصرب على "سلوفينيا" و"كرواتيا" عنه حيـــال اعتـــداء الصرب على "البوسنة والهرسك"، حيث سارعت في اتخاذ القرارات قبـــل أن يتفـــاقم الوضـــع في "سلوفينيا" و"كرواتيا" وتباطأت تباطؤا ثقيلاً في ذلك حتى انتهى الوضع وتحقـــق المـــراد في مـــذابح "البوسنة والهرسك".

ففي الوقت الذي بدأت فيه المذابح يوم ١٩٩٢/٤/٥م بعد اعتـــراف المجموعـــة الأوربيـــة وغيرهـــا باستقلال "البوسنة والهرسك" فيما سمي بـــ "الحرب الأهلية" وتحولت بسرعة إلى مجـــازر بأســـلحة "قوات الجيش" لم تتخذ قرارات بعقوبات إلا في ١٩٩٢/٥/٣٠م أي بعد أكثر من خمسين يوماً كان يتم في اليوم الواحد منها: تشريد ما لا يقل عن (٥٣٠٠) مسلم يومياً عن ديـــارهم، وقتـــل وذبـــح ٦٠٠مسلم في ديارهم[٢٩].

كما قامت بإرسال عدد من قوات حفظ السلام ـــ لم يسبق إرسال مثله من قبل ـــ إلى "ســـلوفينيا" و:كرواتيا" وقد بقوا في أماكنهم حتى عدل الصرب عن بغيهم، و لم ترسل إلى أقل من عشـــر هـــذا العدد ـــ بعد تأخير ـــ إلى البوسنة، ثم لم تبق عليهم، بل سحبتهم أكثر من مـــرة بحجـــج واهيـــة، وادعاءات هشة كاذبة.

ومع ذلك: فإن القرارات والعقوبات التي اتخذها مجلس الأمن لم تنفذ حتى الآن.

ويبد أن الأمين العام للأمم المتحدة لا يستطيع أن يضع القرارات موضع التنفيذ إلا إذا كانـــت ضـــد العراق أو ليبيا ..!!

إذْ صرح "سلوبودان ميلوسوفيتش" جزار الصرب في تلفزيون بلجراد ــ كما ذكرنا من قبل ــ يوم الخميس ١٩٩٢/٥/٢٨م في تحد صارخ للمنظمة الدولية، أو في تواطؤ مع أمينها العام قبل أن تصدر العقوبات قائلاً: نحن لا نهتم بأي عقوبات ضدنا، من كانوا أصدقاءنا سيظلون كذلك، لن تؤثر عقوبات مجلس الأمن علينا، لدينا حدود مع ٧ دول أوربية كلهم أصدقاؤنا، النظام العالمي الجديد لن يسمح "بجمهورية إسلامية"، وإلا كان قد سمح بها في: الجزائر، أو إيران، أو أفغانستان، ما يحدث للمسلمين في البوسنة هم المسئولون عنه، عليهم أن يدركوا أن العالم لم يتخلص من الشيوعية، ليسمح بظهور الإسلام، عليهم أن يدركوا أن المجتمع الدولي لن يسمح بالقضاء على يوغوسلافيا الحرة[٣٠].

وحتى كتابة هذه السطور: ظهر أن الرجل كان متأكداً مما يقول.

بل إن الذي يدعونا إلى القول بأن هناك تواطؤ وتنسيقاً بين "جزار الصرب" الأرثوذكسي و"الأمم المتحدة" ما صرح به "بطرس غالي" الأرثوذكسي، الأمين العام للأمم المتحدة ــ في نفس الآونة ــ قائلاً "إن الوضع المضطرب، والقتال الدائم بالبوسنة: يجعل من الصعب تحديد مهام واضحة لقوة الأمم المتحدة، كما أن جميع الأطراف تتحمل اللوم بدرجة أو بأخرى في الانتهاكات المستمرة لوقف إطلاق النار".

ونقول للأمين العام:

كيف تلام الذبيحة ــ قبل أن يلام الجزار ــ بدرجة أو بأخرى ..؟

ومن أين تأتي الانتهاكات المستمرة لوقف إطلاق النار ــ إن كان هناك وقف ؟

هل تأتي هذه الانتهاكات ممن تتدفق عليه الأسلحة من كل جانب، حتى من "إسرائيل" أو تأتي ممن لا يصله شيء أبداً لأنه محاصر ..؟

ثم هل تأتي هذه الانتهاكات من "الجيش الذي يملك كل السلاح بل الذي يعد "الجيش الرابع" في أوربا كلها، والذي تعد دولته رقم ١٢ في تصدير السلاح على مستوى العالم[٣١]، ومن "الميليشيات" المدعومة من هذا "الجيش" والتي تسحب من السلاح وتحمل وتستعمل منه ما تشاء؟ أو تأتي من جمهورية حديثة الولادة، ليس لديها جيش أو سلاح، بل تدفعها مخاوف الذبح إلى التواري والاختباء عن مرمى أسلحة هذا الجيش الوحشي ..؟

أيتساوى من احتل الأرض، وهتك العرض، وطرد الشعب، وذبح الباقين؟ وبقى كما هو يبطش دون خوف من رادع أو حساب لعقوبات مع من طرد من الأرض، وشرد عن وطنه، وذبح بين أبنائه، أو ذبح أبناؤه بين عينيه، واغتصبت نساؤه وهن بين يديه ..؟

ثم أين تدور المذابح حتى نوجه الملام ..؟

أهي تدور على أرض "جمهورية البوسنة" تارة وأرض "جمهورية صربيا" تارة أخرى وأرض "جمهورية الجبل الأسود" تارة ثالثة حتى تتحمل جميع الأطراف اللوم بدرجة أو بأخرى ..؟

أو أنها تدور على أرض جمهورية "البوسنة والهرسك" التي احتل معظمها، وأبيد شعبها ..؟

أهذه هي الشرعية الدولية، التي تتغنى بها المنظمات الدولية ..؟

أو هذه هي"الشرعية الدولية" التي تضحك علينا بها المنظمات الدولية ــ نحن العالم الإسلامي ــ ..؟ وكذلك.

أهذا هو النظام العالمي الجديد الذي يبدأ بترتيب الأوضاع، محذراً من تنامي "المد الإسلامي" بل بادئاً بــ "إبادة الإسلام وتدمير أهله"؟

إن هذا ما يقدم الدليل عليه: "جاك جوليار" فيما كتبه في "لونوفيل اوبسرفاتور" حيث كتب يقول (إنهم يريدون وضع العالم أمام الأمر الواقع، كما فعل صدام حسين، وسيجد زعيم الصرب "ميلوسيفتش" ن يجد له العذر، كما وجد صدام، وقد وقعت مجازر أخيراً، كما حدث في مسجد "بجلينا"، ويحتاج الأمر إلى ما هو أكثر من إجراء المقاطعة الاقتصادية، الأمر يحتاج إلى عمل عسكري، وهو ما تتطلبه الدول الغربية الأوربية إلا أن ــ والكلام لجوليار ــ الأمين العام للأمم المتحدة "بطرس غالي" يرفضه)[٣٢].

فهل كُشف المستور للعالم الإسلامي ..؟

وهل فهم العالم الإسلامي ما كشف ..؟

وهل يقوم العالم الإسلامي بدوره ..؟

هذا ما نراه فيما يلي ..!!

* * *

العالم الإسلامي

أ- تمهيد

هذا العالم صاحب المشكلة الحقيقي، والمتغافل عنها، والمتعلقة أنظاره لتصرف غيره، والمرتبطة خطواته بما يفعل الآخرون.

هذا العالم الذي تبلغ مساحته: ما يقرب من ربع مساحة اليابسة.

وبذلك يكون: أكبر وحدة في العالم تشترك بوحدة روحية وفكرية، وتصورات واحدة[٣٣].

هذا العالم يبلغ تعداده الآن: ما يقرب من ربع سكان المعمورة كذلك بعد أن كانت ٢٠% من مجموع سكان العالم كما تفيد آخر الإحصائيات والتقديرات للأمم المتحدة عام ١٩٧٨م[٣٤].

هذا العالم: الذي يملك من مصادر القوة ملا يملكه الآخرون، كما يرى "باول شمتز" صاحب كتاب "ألإسلام قوة الغد العالمية".

إذْ يمتلك منطقة جغرافية تستطيع أن تتحكم في العالم كله.

كما أن سكانه لديهم خصوبة بشرية، تمكنهم من التفوق على غيرهم إن هـم أحسنوا إعـدادها وتوجيهها.

وثالثاً: يملك أهله من الثروات والمواد الخام، ما يستطيعون به بناء قوة صناعية تضارع أرقى الصناعات العالمية ـــ إن لم تفوقها ـــ وسوف تزداد هذه الثروات في وقت تقل فيه في البلاد الأخرى، مما يجعلهم يتحكمون في توجيه الصناعة في العالم.

ورابعاً: يدين هذا العالم بالإسلام، الذي له قوة سحرية على تجميع لأجناس البشرية المختلفة تحت راية واحدة، بعد إزالة الشعور بالتفرقة العنصرية من نفوسهم، وله من الطاقة الروحية ما يدفع المؤمن به على الدفاع عن أرضه وثرواته بكل ما يملك، مسترجعاً في سبيل ذلك كل شيء، حتى روحه يحرص على التضحية بها فداء "للإسلام"(٣٥).

وبالرغم من ذلك:

فإن هذا العالم يعاني من أزمات(٣٦). ويتسم بسمات(٣٧).

أولهما: عدم الاستقرار السياسي.

الثاني: الصراعات والتنافس بين دوله، فعلى سبيل المثال: المغرب ضد الجزائر، ليبيا ضد الجـائر، ليبيا ضد تشاد، الأردن ضد السعودية، سوريا ضد الأردن، سوريا ضد لبنان، السعودية ضد ليمن، العراق ضد سوريا والكويت والسعودية وإيران، دول الخليج ضد إيران، الهند ضد باكستان وبـنجلاديش، أندونيسيا ضد ماليزيا.

ولما كانت معظم هذه الدول مصطنعة من عدة قوميات أو أجناس مختلفة، كما أراد صـانع هـذه الدول: فقد سادت المنطقة الصراعات الداخلية.

ويرى المحللون: أنه ربما يحدث في كثير من الدول الإسلامية مستقبلاً ما حدث في لبنان.

السمة الثالثة: أن هذه الدول تحكمها أنظمة معظمها دكتاتوري، قائم على النظم الملكية التقليدية، وعلى سيطرة القوة بدلاً من الانتخابات الحرة: ما أدى التحرر السياسي في بعض الدول الإسلامية إلى مزيد من التفكك:.

هذه العوامل وغيرها: أدت إلى انكباب كل جزء من أجزاء العالم الإسلامي على نفسه وهمومه، وعدم اهتمامه بشئون غيره، والمشاركة فيها.

وساعد على ذلك: عدم وجود "لجنة مركزية" مثلاً تدير سياسة المسلمين في العالم.

مما كان له أكبر الأثر في: ضياع هيبة هذا العالم، أمام جميع القوى، الخائفة منه، والمتربصة به، والمناوئة له، والتي بدأت تعتدي على أطرافه وأقلياته ـــ كما ذكرنا من قبل ـــ في بورما، والفلبين، وكشمير، واريتريا، وجنوب السودان، و .. و ..الخ.

كما أخذت: تستهين به، وتعتدي عليه، وتحتل بلاداً منه، كما حدث في: "أفغانستان" و"فلسطين" وكما يحدث الآن في "جمهورية البوسنة والهرسك" وكما هو متوقع ـ لا مكنهم الله من ذلك ـ في باقي الجمهورية الإسلامية في أوربا الشرقية.

فماذا فعل العالم الإسلامي ..؟

ولنحد سؤالنا بخصوص موضوعنا على سبيل التمثيل والتدليل والتنبيه ..!!

ماذا فعل العالم الإسلامي تجاه مذابح المسلمين في "جمهورية البوسنة والهرسك" ..؟

وعلى ضوء هذه الإجابة: يمكن لنا أن نعرف بماذا يستعد العالم الإسلامي لما هو متوقع من الاعتداءات على أهله وشعوبه ..؟

ب– الموقف.

إن العالم الإسلام: قد اكتفى حتى الآن بتصريحات الاستنكار، ومعها عديد من البيانات، التي لم يصاحبها إلا تحرك نشط من المسئولين في بعض هذه الدول، وعلى رأسها مصر، لاستخراج قرار هزيل، مجمد غير ساري المفعول، من مجلس الأمن ضد دولة غاشمة لا تأبه لمثل هذه القرارات، ولا تتأثر بمثل هذه العقوبات.

بل إن هذه الدول: ما ساندت هذا القرار، بمتابعة تنفيذه، وكأن استخراج القرار هو كل المطلوب وعين المطلوب ولا يهم أن ينفذ أو لا ينفذ، كما لا يهم من الذي ينفذه، ومن الذي لا ينفذه؟

إن مما يدعو للدهشة أن يظل الدعم السياسي والأساسي المقدم للصرب عن طريق "رومانيا" قادماً من "روسيا" "واليونان" ـ على سبيل المثال ـ بينما لم تحاول الدول العربية والإسلامية أن تمارس أي ضغط على هاتين الدولتين لتغيير موقفهما ..؟!!

خصوصاً: أن المبعوثين الروس يزورون الدول العربية النفطية ـ في الوقت الراهن ـ لتوسيع نطاق التعاون الاقتصادي معها، وجذب الاستثمارات العربية للمساعدة في إنقاذ الاقتصاد الروسي[٣٨].

وكل الذي تم حتى الآن ـ وهو دون المطلوب ـ جاء مع "المجتمع" الإسلامي، الذي كان تحركه في أنحاء العالم أكثر فاعلية من تحرك "الأنظمة" الإسلامية والعربية.

حيث بدأت "لجنة الإغاثة الإنسانية" بنقابة أطباء مصر، عقد عدة مؤتمرات لمناصرة شعب "البوسنة والهرسك".

وقد أقيمت حملة إعلامية، من النقابات: عقدت فيها المؤتمرات، وأقيمت الندوات، وألقيت المحاضرات، وكتبت المقالات والدراسات، من الصحفيين البارزين، والباحثين.

وغير ذلك من الجهود : التي ساعد في اتساعها، وفي العمل على نجاحها ـ قدر الإمكان ـ رعاية فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق "شيخ الأزهر"" لها.

وهذا واحد من عديد المقالات التي كتبت وتكتب حول هذه القضية على سبيل المثال والإفادة.

إذْ كتب سلامة أحمد سلامة في عمودة اليومي بالأهرام(٣٩) يندد بموقف الحكومات العربية إزاء هـــذه المذابح الدموية، ويقول: يجلس العالم الإسلامي متفرجاً عاجزاً ومشلولاً عن الحركة في انتظار ما تفعله أمريكا أو ما تفعله الجماعة الأوربية، وتقف الدول الإسلامية والعربية وهذا الجيش الجرار الـــذي لا فائدة فيه من دول عدم الانحياز :كالخشب المسندة" . أن تقاعس العالم العربية والإسلامي والصـــمت العاجز عن اتخاذ أي إجراء يعد فضيحة سياسية لن يغفرها التاريخ، كما أنه يفتح الطريق لمزيد مـــن الإذلال والامتهان لا سبيل للتنصل منها لقد انطلقت الوحوش الآدمية تهتك وتغتصب وتقتل وتحـــرق في سعار مجنون .. وسيطرت على الكلام العقورة نوبات الهستيريا، وخرج الزبد من أفواها، فإذا بهـــا تبقر بطون الحوامل وتفتك بالأطفال الرضع.

وتعجز الكلمات عن وصف الألم .. ويتحجر الدمع في المآقي .. ويغيب العقل في ذهول .. أن وزير الأوقاف لماذا لا نسمع له صوتاً؟ وأن فضيلة المفتي لا أسكت الله له حساً؟ أم أن مخازي الصـــرب في البوسنة والهرسك من الأمور الهامشية والقضايا الفرعية التي يجوز فيها الخلاف، وفيها آراء للحنابلـــة وأخرى للأحناف؟

أفيدونا أفادكم الله ..!! لقد قامت القيامة من أجل ١٥ فرداً تم حصدهم في ساعة من نهار، وتحركت وكالات الأنباء على مستوى العالم لتغطي هذه الفاجعة الأليمة والمصيبة الفادحة .. وســـأل مـــداد الأقلام بما جادت به قرائع الأقوام، ودبج الشعراء القصائد والأبيات يستنفرون فيها كـــل الأحـــزاب والهيئات من أجل الوحدة الوطنية .. فهل حصلت قضية البوسنة والهرسك. على بشاعتها وفظاعتـــها ـــ على نفس القدر من الاهتمام ؟

ومن المضحك المبكي أن يعلن مندوب الأمم المتحدة في مهمة حفظ الســـلام في يوغوســـلافيا عـــن شعوره بالإحباط، لأن المحاولات التي يقوم بها سيادته لتحقيق السلام في البوسنة محكوم عليها بالفضل بسبب الأطراف المعنية التي لا تبدي القدر اللازم من التعاون [!!] وكانت قوات حفظ السلام الدولية قد أكملت انسحابها من "سرايفو" ووصلت إلى بلجراد بعد معاناة شديدة !.

إن الخبيث اللئيم يريد أن يوهم العقل العربي والإسلامي بأن هناك طرفين مشتركين في قتـــال، لا أن هناك طرفاً شيوعياً معتدياً تجرد من الآدمية واندفع بوحشية يهتـــك، ويغتصـــب، ويقتـــل ويحـــرق، ويذبح .. وأن هناك طرفاً آخر إسلامياً معتدى عليه وغير قادر على الدفاع عن نفسه، وأن المجتمـــع الدولي برمته وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية ـــ متآمر بصـــمته وخذلاتـــه وخستـــه عـــن مناصرته .. مناصرة شعب مسلم يراد مصادرة حقه في الحياة، بل وحقـــه في الاســـتغاثة والصـــراخ ولأنين.

إن مشاهدة الخراب والدمار تتكرر بكل الوحشية والإجرام من مودريكـــا، ودوبـــوي، وإليـــاش، وبوسانسكي برود، وزفورنيك، ودرفنتا، وبوسانسكي شاماتس وغيرها من القرى والمدن التي كانت

عامرة فأصبحت الآن خراباً يباباً، وأصبح أهلها المسلمون إمام قتلى أو جرحى مشوهين أو مشردين، لقد أرى الاعتداء الوحشي إلى أكبر مشكلة لاجئين تشهدها أوربا منذ الحرب العالمية الثانية فقد وصل عدد اللاجئين من المسلمين إلى نحو ملون ونصف فروا من جحيم المعارك.

إن القصد هو الاحتلال الصربي لمناطق المسلمين لكي تصبح صربية، إذ لا يوجد في "البوسنة والهرسك" قرى أو مدن يتمتع الصربيون فيها بالغالبية العددية إلا القليل النادر، ومن ثم فهم يريدون إقامة "مقاطعاتهم" على ثلثي المساحة هناك.

وللأسف يتم عقد اتفاق بليل بين الصرب الأرثوذكسي، والكروات الكاثوليك على تقسيم البوسنة والهرسك إلى مقاطعات صربية وكرواتية وترك [ما تبقى !!] للمسلمين، كما يتضمن الاتفاق أيضاً وقف إطلاق النار بين الصرب والكروات!.

هل علمنا لماذا تقف الولايات المتحدة الأمريكية والمجموعة الأوربية هذا الموقف السلبي الذي لا يتعدى حدود الكلام!!؟ إنهم لا يثبتون فقط السيطرة الحالية للصرب على المسلمين في إقليمي كوسوفو وسنجق، بل يفتحون لهم المجال واسعاً لاستخدام كل وسائل القوة في بسط سيطرة أوسع نطاقاً تشمل كل البوسنة والهرسك، وتشمل بالتالي مجموع المسلمين في البلقان.

ياليل البوسنة والهرسك .. اشهد أن البسمة ما عادت تعرف وجهك، والأحزان الكبرى قد ملأت قلبك .. انهيار الدنيا لا تروي ظمأك .. أمطار العالم لا تغسل حزنك .. أفراح البشر جميعاً لا توقف دمعك .. فهناك سيول وسيول من دمك القاني تنحدر بسرعة نحو الوادي لتكون بحاراً .. تشكوا حزياً، تشكو عاراً .. تشكوا من فقدوا السمح وفقدوا البصر نهاراً .. ما ترك الصرب لهم داراً .. خرب كل الأرض، وأباد الزرع واجتث الضرع وأشعلها ناراً ..

ياليل البوسنة والهرسك .. أبداً ما فقد الشجعان شهامتهم ورجولتهم .. أبداً ما غابت في طي النسيان كرامتهم .. أبداً ما صار الجبن طبيعتهم وأريحتهم .. هل تدري تاريخاً كان لنا ملأ الدنيا عزاً وفخاراً؟ هل تدري أن تراب الأرض قد دان لنا وفتحنا يوماً مدائن كسرى وبخاري؟

وكان مثل ذلك: من هيئات أخرى في غير مصر.

فعلى سبيل المثال:

تتواجد في "زغرب" عاصمة كرواتيا: مكاتب الإغاثة السعودية، واللجان الخيرية الكويتية، وبعثة البنك الإسلامي للتنمية[٤٠].

وقد سافر وفد "لجنة الإغاثة الإنسانية" بنقابة الأطباء في مصر لتوصيل التبرعات التي جمعتها اللجنة إلى المسلمين هناك، برئاسة د. أشرف عبد الغفار، ود. عبد الحي سليمان ود. عبد القادر حجازي، وصاحبهم في هذه الرحلة الشيخ جمال قطب ممثلاً شخصياً لشيخ الأزهر، ومندوباً "الأخبار" و"الشعب" وقد بذلت اللجنة جهوداً شاقة خلال هذه الرحلة حتى نجحت في أداء مهمتها[٤١].

كما تبرعت المملكة العربية السعودية ـــ حتى كتابة هذه السطور ـــ بمبلغ ٣٨ مليون ريال سعودي.
إلى غير ذلك من الجهود.

ج- ولكن ..!!

ولكن هل بهذه الجهود: تحل مشكلة المسملين في "جمهورية البوسنة والهرسك" الذين شرد معظمهـــم، وذبح الكثير منهم ..؟

هل بهذه الإجراءات فقط: تعود الحقوق لأصحابها ..؟

إن الذي أذكره ـــ ويذكره الكثيرون فيما يذكرون من ذكريات إسلامية ـــ أنه كـــان في ســـالف العصر والأوان:

١- امرأة من المسلمين، ذهبت إلى سوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ من اليهود في "المدينة المنور" لأجل بيع حُلَل لها.

وكان ذلك في عام ٢هـــ ـــ ٦٢٤م.

وجاء رجل منهم وربط ذيل ثوبها من الخلف ـــ وهي لا تشعر ـــ في أعلاه، فلما قامـــت بـــدت عورتها فضحكوا لذلك[٤٢].

فماذا حدث ..؟

هل سكت المسلمون لأنهم حديثوا عهد بهذا الوطن الجديد ..؟

هل سكت المسلمون لأنهم قليلوا العدد ..؟

هل سكت المسلمون لأنهم عائدون بعد معركة "غزوة بدر"، و لم يستريحوا بعد ..؟

أو فقد المسلمون الكرامة، وهانوا على أنفسهم ..؟

كلا .. وألف كلا ..!!

إن إهانة إي مسلم: تساوي إهانة المسلمين جميعاً.

ومن ثم: وجب أن يردوا ..!!

و لم يهدأ لهم بال: حتى ردوا للمرأة المسلمة هيبتها، وللمسلمين بالتالي هيبتهم.

إذا أخرجوا يهود بني قينقاع" من المدينة، وكانوا (٧٠٠ محارب) ومعهم أسرهم.

والذي يحدث الآن: ليس كشف عورة فقط، بل إنه اغتصاب المسلمات، والذبح والتشـــريد لقـــوم **(.... ما نقوما منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد)** [٤٣].

فهل في المسلمين اليوم من يغضب لهؤلاء كما غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته للمرأة المسلمة ..؟

٢- امرأة من المسلمين ذهبت إلى سوق من الأسواق، التي تبعد كثيراً عن عاصمة الخلافة.

وكان ذلك في عام ٢٢٠هـــ تقريباً ـــ ٨٣٥م[٤٤]

وأهان أحدهم ــ أهان فقط ــ هذه المرأة المسلمة.

فما كان منها إلا أن صرخت تستنجد بخليفتها المسلم ــ الذي تعرف أنه لن يسمع صراخها ــ قائلة "وامعتصماه ..!!"

فماذا حدث ..؟

نقل هذه الصرخة تاجر ــ سمع صارخها قدراً ــ لأمير المؤمنين، المعتصم بالله ابن هارون الرشيد ..!!

هل سكت أمير المؤمنين لأن الأمر يسير ..؟

أو سكت: لأنه مشغول بأمور هامة من أمور الدولة الإسلامية الواسعة ؟

أو سكت لأن المسافة بعيدة ..؟

أو سكت لأن المسلمين فقدوا الكرامة وهانوا ..؟

كلا .. وألف كلا ..!

إن إهانة أي مسلم: تساوي إهانة المسلمين جميعاً.

ومن ثم: وجب أن يردوا ..!!

ولذلك: خرج جيش المسلمين بأوامر من أمير المؤمنين "القائد الأعلى" ليرد للمرأة هيبتها.

حتى ترد للمسلمين هيبتهم، وكان ..!!

* * *

والذي أسمعه ــ ويسمعه الكثيرون فيما يسمعون ــ الآن: ليس صراخ امرأة واحدة أهينت، بل هو صراخ آلاف النساء والأطفال والرجال الذين يشردون ويذبحون، لا شيء (.. إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) .

فهل في قادة المسلمين اليوم من يغضب لهؤلاء كما غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويجيرهم وينقذهم ويسير لهم الجيوش لتدافع عنهم وتحميهم كما فعل المعتصم بالله للمرأة المسلمة ..؟

وذل: حتى يرد لهم هيبتهم التي فقدت، وحقوقهم التي سلبت، وأرضهم التي اغتصبت؛ وبذلك يأمن الخائفون، ويعود المشرودون، ويستريح المستشهدون، ويرعوي المعتدون ..!!؟

أوليس فيهم إلا من يتبرع بالكثير من أموال المسلمين ــ على سبيل المثال ــ لحيوانات لندن ..؟

أي والله ..! لحيوانات "لندن" ..!!

فقد ذكرت "النيويورك تاميز" في تقرير لها من "لندن" أن أمير الكويت قدم "شيكاً" بمبلغ (١,٨٥٠,٠٠٠) مليون وثمانمائة وخمسين ألف دولار كاملة، لإنقاذ حديقة حيوانات لندن المهددة بإغلاق أبوابها.

وقد قام سفير الكويت في "لندن" بتسليم الشيك موضحاً: أن المبلغ تعبير عن أواصر الصداقة الوثيقة التي تربط بين البلدين[٤٥].

فهل وصلت أصوات الحيوانات، و لم تصل صرخات المسلمين إلى أسماع هذا الأمير القائد ..؟

وهل الخوف من إغلاق حديقة حيوانات لندن، أخطر من إبادة "جمهورية إسلامية" بــذبح أهلــها وتشريد الباقين منهم؟

وهل حرصنا على خنازيرهم الجائعة أصبح أعز عندنا من حصرنا على أبناء جنسنا وديننا الذين يموتون يومياً بالآلاف ــ جوعاً ــ في "البوسنة والهرسك" ..؟

وهل صار: نباح كلاب لندن، وعواء ذائبهم أكثر إيلاماً لنا، وتأثيراً فينا، من صراخ المسلمين، وعويل نسائهم، وبكاء أطفالهم في "البوسنة والهرسك"؟

وهل غدا القلق على موت حيواناتهم يقض المضاجع منا، أكثر مما يفعله: اغتصاب النســاء، وذبــح الرجال، ووأد الأطفال والعجائز، في "البوسنة والهرسك" ..؟

إنها والله الكارثة، والآزفة: التي ليس لها والله (... **من دون الله كاشفة)** ..!!

* * *

وماذا بعد

نعم ... ماذا بعد هذا الضياع، وهذا الهوان الذي يمثله الآن ــ حسب إحصائيات المنظمات الدوليــة ــ تعرض نحو ١٠ ملايين مسلم للطرد والذبح والقتل والتشــريد في ٣٧ دولــة مــن دول العــالم الحالي[٤٦].

نعم .. ماذا بعد هذا الضياع، وهذا الهوان ..!!

الذي جعل الأوربيين لم يتركوا جمهورية "البوسنة والهرسك" الإسلامية: شوكة في قلب أوربا ..!!

والذي يجعلهم: لن يتركوا (٨,٥٠٠,٠٠٠) ثمانية ملايين ونصف مليون مسلم في جمهوريات "الاتحاد اليوغوسلافي" سابقاً، كذلك ..!!

نعم .. الذي يجعلهم: لن يتركوا "جمهورية مقدونيا" باسمها الإغريقي، وإلبيتها الإسلامية ٥٥% مــن السكان، كذلك ..!

والذي يجعلهم: لن يتركوا "كوسوفوا" حيث المسلمون ٩٣% من السكان تشكل "جمهورية إسلامية" كذلك ..!!

والذي يجعلهم: لن يتركوا "سنجق" تحصل على حكم ذاتي، يمكنها من العودة للانضمام إلى "جمهورية البوسنة والهرسك" بعد اقتطاعه منها بموجب اتفاق "برلين" عام ١٨٧٨م في ظل الاحتلال النمساوي المجري ..!!

والذي يجعلهم ...

والذي يجعلهم ...

والذي يجعل غيرهم ــ كذلك ــ يفعل في المسلمين، ما يحلو له ..!!

نعم .

ماذا بعد هذه الجولة المتحضرة المسعورة التي حققوا فيها: بعد ما أرادوا، إن لم يكن: كل مـــا أرادوا فينا، وعلى مرأى ومسمع منا ومن حكامنا ..؟

إن ذلك فيما تقول د. بنت الشاطئ بحق ـــ متروك لنا نحن.

بغفلتنا عن الموقع الفكري الإسلامي.

يعيث فيه: دعاة تنوير، موكلون بمهمة طمس معالم وجودنا الإسلامي، وتشويه قيمة ومبادئة وآخرون منهم: موكلون بترويج بضاعة الجنس، والجريمة، في أخبث صورها، وأحط أساليبها.

وأجهزة الأمن: مشغولة عن حملة "جراثيم" فقدان المناعة المكتسبة من الفطرة السوية، بمطـــاردة مـــن تستريب في "أصوليتهم" و"إسلاميتهم".

وأجهزة الإعلام: تتبارى في التحذير من "الإرهاب" الديني للأصولية الإسلامية، في المشرق والمغرب، فيسقط الإعلاميون بذلك التحذير من "الإرهاب" الإسلامي، وعي الشباب بزيف نسبة "الإرهـــاب" إلى دين يحظر الإكراه في الدين، ويمحق الفاسد في الأرض، وينهي عن الفحشاء والمنكر.

ومنابر الصحف الرسمية، وواجهات الصوت والضوء، مباحة لأدعياء العصرية، يلوثون مناخنا الفكري الإسلامي بمقولاتهم الخاسرة، ويبشرون فينا: بتنوير عصري يحررنا من خدر الأفيـــون، ويســـتهزؤون بالتدين والمتدينين، ويسخرون من قيم إسلامية يرونها من حفريات زمان عبر ..!!

وأتلوا من آيات كتابنا المحكم بلاغنا للناس في هذا الزمان(٤٧)

(هذا نذير من النذر الأولى*آزفت الآزفة*ليس لها من دون الله كاشفة*أفمن هذا الحديث تعجبون*وتضحكون ولا تبكون*وأنتم سامدون*فاسجدوا لله واعبدوا) (٤٨)

فهل نستيقظ ..؟

وهل نفيق ..؟

وهل نتوحد أمام هذه المخاطر ..؟

وإلا ..

فمتى نتجمع إذا لم يجمعنا هذا التهديد بالفناء ..؟

ألا .. هل بلغت ..!!

اللهم فاشهد.

---

(١) محمد علي إبراهيم "المساء" ١٩٩٢/٦/٧م.

(٢) أسعد طه "العالم" ١٩٩٢/٣/٢١م.

(٣) الذي رواه الإمام البخاري في صحيحة، والإمام أحمد في مسنده، وكذلك الإمام الدرامي في سننه.

(٤) الفرصة السانحة ص٨٨.

(٥) أخبار اليوم ١٩٩٢/٥/٢٣م.

(٦) الأهرام ١٩٩٢/٦/٢٤م ص٥.

(٧) المساء ١٩٩٢/٦/١١م.

(٨) المساء ١٩٩٢/٦/١١م.

(٩) رواه: الشيخان.

(١٠) محمد علي إبراهيم "المساء" ١٩٩٢/٦/٨م.

(١١) انظر: العالم ١٩٩٢/٥/١٦م.

(١٢) المساء ١٩٩٢/٦/١١م.

(١٣) محمد علي إبراهيم "المساء" ١٩٩٢/٦/٨م.

(١٤) العالم ١٩٩٢/٥/١٦م ص١٨.

(١٥) المساء ١٩٩٢/٦/٨م.

(١٦) العالم ١٩٩٢/٥/١٦م ص١٨.

(١٧) البقرة ١٠٩.

(١٨) النشرة الموجهة للبوسنوين أول يوليو ١٩٩٢ كما سمعها وذكرها لي خلال مراجعة الكتاب "صفوت مصطفى خليلوفيتش" البوسنوي خريج جامعة الأزهر الشريف.

(١٩) البقرة ١٠٥.

(٢٠) البقرة ١٢٠.

(٢١) إبراهيم نافع الأهرام ١٩٩٢/٥/٢٩م.

(٢٢) د. عبد العظيم رمضان الأخبار ١٩٩٢/٥/٢٩م.

(٢٣) محمود بكري .. (الشعب) العدد (٦٥٢) في ١٩٩٢/٦/٩م.

(٢٤) المائدة آية: ٨٢.

(٢٥) المسلمون ١٩٩٢/٥/٨م.

(٢٦) المسلمون ١٩٩٢/٥/١٥م.

(٢٧) فهمي هويدي .. "المجلة" ١٩٩٢/٥/٢٧م.

(٢٨) شعبان عبد الرحمن "الشعب" ١٩٩٢/٦/٣٠م.

(٢٩) محمد علي إبراهيم "المساء" ١٩٩٢/٦/١٤م.

(٣٠) محمد علي إبراهيم "المساء" ١٩٩٢/٦/١٤م.

(٣١) إذاعة لندن ١٩٩٢/٧/١م.

(٣٢) فيصل الزامل .. "المساء" ١٩٩٢/٦/١٢م نقلاً عن "الوطن" في ١٩٩٢/٥/٢٠م.

(٣٣) "سكان العالم الإسلامي" محمود شاكر مؤسسة الرسالة ط٤ سنة ١٩٨٥م ص٩.

(٣٤) د. عادل طه ونس "المسلمون في العالم" دار البحوث العلمية ط١ سنة ١٤٠٠هـ — ١٩٨٠م.

(٣٥) الإسلام قوة الغد العالمية "باول شتمز" تعريب / د. محمد شامه — نشر مكتبه وهبة ط٢ ص٤-٦.

(٣٦) انظر: المسلمون بين الأزمة والنهضة "للمؤلف" نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية الطبعة الخامسة ١٤١١هـ — ١٩٩٠م.

(٣٧) نيكسون الفرصة السانحة ص١٣٦ وما بعدها.

(٣٨) فهمي هويدي "المجلة" ١٩٩٢/٥/٢٧م ص٤٥.

(٣٩) عدد ١٩٩٢/٥/١٦م

(٤٠) المساء ١٩٩٢/٦/١٢م.

(٤١) انظر: تقرير اللجنة السابق ص١١٦.

(٤٢) انظر: سيرة ابن هشام .. القسم الثاني ص٤٨، الكامل لابن الأثير ٩٦/٢.

(٤٣) البروج آية: ٨

(٤٤) انظر: تاريخ الخلفاء تحقيق محمد مطيع حافظ: مؤسسة الرسالة ص٤١.

(٤٥) الأخبار ١٩٩٢/٦/٢٦م.

(٤٦) إبراهيم نافع ١٩٩٢/٥/٢٩م.

(٤٧) بنت الشاطئ الأهرام ١٩٩٢/٦/٤م.

(٤٨) سورة النجم الآيات ٥٥-٦٢.